دون كيشـــــــوت

تأليـــــــف: إيـف جاميـاك

ترجمة وتقديم: فتحى العشرى

المسرح..
حوار الإنسان مع الوطن والعالم

فاروق حسنى

وزيـر الثقافة

من أين أتى هذا الإنجاز المصرى الهائل - فى كل فنون العرض المسرحى كتابة وإخراجاً وتمثيلاً وتشكيلاً وموسيقى - إن لم يكن مصدره معادلة خالدة لا تتجزأ هى: حوار الإنسان مع الوطن وسط دائرة أكبر هى العالم.

تلك التى فى تضافرها واتحادها وتفاعلها لا تزال تعطى ولا تتوقف عن العطاء. ففى ظل لافتة شعارها .. البحث عن الشخصية المصرية.. تنقيباً عن لحظة أن دخل إلى مصر وليداً ونهضوا به اقتباساً وإعداداً وترجمة حتى وصل إلى أن أصبح الآن مصرى الملامح، عربى الأحلام والهموم، عالمى المشاركة والتثمين والتقييم فى لحظتنا الحاضرة. وبما يعنى - وبكل تأكيد- أنه وهو الآخر قد تعرض لفعل الثورة فثار. ولفاعلية التحديث والتطوير فحدّث وطور مثلما واجه ضرورة المواكبة وصدق التعبير وأمانة التمثيل؛ فواكب وعبر ومثل المجتمع الإنسانى عاكسا ما يعانيه عارضا ومتعرضا لما يعايش، مستشرفا ما يحلم به

أن يتحقق ثم فارضا ما يريده أن يكون؛ حتى فاق إنجازه فى عصر مصر الحديثة مساحة الزمن المعطي له - هو وغيره من الفنون- كما قفزت معدلات عطائه ونضجت وتنوعت مع ثورة يوليو ١٩٥٢ إلى أن وصلت إلى ما نعيشه الآن من تدفق راق فى الإبداع وحرية فى التعبير ضمن عملية تثاقف مستمر مع العالم وحوار لا يتوقف مع حضارته: مؤثر ومتأثر .. قائل ومستمع، آخذ ومقابل بالعطاء!

فإلى هذا الجدل الثقافى المتحضر الخصب .. إلى صناعته والمستفيدين منه نتوجه بهذه السلسلة من إصدارات المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية مستفتحين ومستبشرين باستهلالها بالترجمة التاريخية الفريدة لرائعتى سوفوكليس بقلم عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين سيراً على طريق التنوير وإضافة مخلصة لإنجازات رواده.

هذه السلسلة

أ.د. سمير سرحان

من المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية تواصل وزارة الثقافة المصرية إشعاعاتها لكى تضىء هذه المرة مقدمة سلسلة «روائع المسرح العالمى» واضعة بين يدى القارئ العربى فى كل شهر عملاً جديداً تنتقيه من قائمة إبداعات العالم الدرامية؛ ناقلة إياه إلى لغتنا الأم، وقد تعهدته أقلام متمكنة لصفوة من الأساتذة المترجمين، وراجعته أقلام خبيرة، وأشرفت عليه لجنة أسماؤها متميزة في حقول لغات العالم وآدابها ملتزمين بأن تكون الترجمة عن الأصل الأجنبى مباشرة وأن يكون صاحبها ذا خبرة بترجمة الدراما والإحساس بحوار المسرح وجوه وإيقاعه.

أما الهدف النهائى فهو حركة مسرحية نشطة وفاعلة تستقبل إضاءتها من شتى الاتجاهات والمصادر كما تعكس إشعاعاتها على العالم مؤكدة أن مصر لاتزال معطاءة ومبدعة وأن حوارها مع العالم مثمر ومتصل.



دون كيشـــوت بداخلى ما يزال،
وقد كنت يوماً دون كيشـوتاً

فتحى العشرى

مقدمة

دون كيشـــــــــوت.. والمستحيل!

عندما يذكر اسم " **دون كيشـــــــــوت** " تتبادر إلى الأذهان رواية الأسباني الكبير "سرفنتيس".. أما هذه المسرحية للفرنسي المعاصر " إيف جامياك " فلا تعتمد على الرواية الأصلية قدر اعتمادها على الشخصية الأسطورية " دون كيشوت " الذى عاش فى قرية أسبانية صغيرة واختار " سانشـــو " تابعاً له، هو يعتلى جواده وتابعه يمتطى حماره، يجوبان الأرض ويعتقدان أنهما صعدا إلى السماء، بحثاً عن الحقيقة والمطلق، وفى سبيل ذلك يعانيان الكثير والكثير جداً.

من المعروف أن المحاولات المسرحية الكثيرة والمتنوعة كلها مأخوذة عن الرواية الأصلية.. ولكن هذه المسرحيات رغم تنوعها، قد حافظت على أحداث الرواية وأحتفظت بالشخصيتين الرئيسيتين " دون كيشوت " و " سانشـــو " هذا فضلاً عن نقل الجوهر والمعنى والهدف دون تحريف أو تغيير أو تعديل بدعوى " المعاصرة " أى صب المضمون القديم برؤية عصرية فى قالب عصرى.. ولهذا يذكر المؤلفون جميعاً أمام مسرحياتهم " سرفنيتس " كمصدر بل ويتخذون من اسم " روايته " عنواناً لأعمالهم المسرحية الحديثة والمعاصرة..

من الذين تناولوا رواية " **دون كيشوت** " فى قالب مسرحى، الكاتب المسرحى الأسبانى " بييرو بابيخو " وهو كاتب أكثر شباباً من " أنطونيو بابيخو " مؤلف مسرحية " **دماء على ملابس السهرة** ".. والكاتبان الفرنسيان " سرج جنزل " ومسرحيته " **دون كيشوت الفارس المقدام** " و " ايف جامياك " فى مسرحيته " **دون كيشوت** " ..

أما " **دون كيشوت** " بابيخو فتجنح إلى رواية عصرية ومعاصرة " تبين إلى أى مدى يمكن أن يضحى الإنسان من أجل مبادئه وآرائه وأفكاره مهما تحمل من أضطهاد وسخرية معاصريه ومواطنيه بل وأصدقائه.. ولذلك حاول أن يقدم " فانتازيا " مصحوبة بالأغانى والاستعراضات، فجعل من " سانشو " عجوزاً حكيماً..

وقد صاغ شاعرنا المصرى " كمال عمار " أشعاراً مستمدة من مضمون الرواية ومضمون المسرحية معاً، أخرجها فى تجربة ناجحة مخرجنا الشاب " سناء شافع " الذى أسند البطولة إلى الفنان الكبير " جلال الشرقاوى " أما **دون كيشوت** " جانزل فقد قدر لى أن أشاهد عرضاً لها بمهرجان آفينيون المسرحى عام **١٩٧٣** وسط مئات المتفرجين العاشقين لمسرح من أنحاء العالم.. وقد نالت المسرحية تقديراً جماهيرياً ونقدياً بالغاً..

أخرج مسرحية " جانزل " المخرج الفنان " جابرييل جاران " الذى جعل من " دون كيشوت " سرفنتيس فارس رحالة يخرج مع

تابعه سانشـــــــــــو بحثاً بلا نهاية عن حلم مستحيل، عن عالم يحكمه العدل ويسوده الأمان فيصدمه الواقع، ويخوض معارك ضارية ومجنونة حتى يتكسر ويتمزق ويموت. ولكنه لا يحارب طواحين الهواء، ولا يعتمد على وسائل بلهاء، فهو مدرك أن العالم لا يسير على حسب هواه، ولن يسير كما يود.. وهكذا ينجح " جانزل " فى تحويل " دون كيشـــــــــــوت " من بطل أسطورى وتاريخى، كما صوره سرفنتيس، إلى مجرد إنسان أو مرآة تنعكس عليها صور الآخرين.. إنه يثير فى كل منا " كيشـــــــــــوت " الكامن بداخله ثم يخمده عندما يعلن " كيشـــــــــــوت " الجديد فى نهاية المسرحية، أن مأساته هى فشله فى حياة الآخرين، ولهذا يموت بغير صلب. مختفياً عن العالم داعيا كلا منا لتحمل مسئولياته!

ولقد نجح " جاران " فى إخراجه البسيط لهذا العرض الكبير الذى بدت فيه الموسيقى والإضاءة أكثر أهمية من النص نفسه.. يقول جاران: " لقد أردت أن أقدم مسرحاً سياسياً، ولكنى أؤمن بأن المسرح الثورى لا يشعل ثورة.

وأخيراً نصل إلى هذه المسرحية، مسرحية " ايف جامياك " التى قدر لى أن أرى عرضاً لها هذا العام على " مسرح سرفنتيس " بقريته الأسبانية القريبة من العاصمة مدريد. وهو المسرح الخشبى المقتوح الذى أنشأة " سرفنتيس " وكان يقدم عليه أعماله المسرحية، فإلى جانب

شهرته كروائى كان "سرفنتيس" كاتباً ومخرجاً وممثلاً مسرحياً، وهذا مالم يشتهر به بل ولم يعرف به على الإطلاق.. أما القرية فيقال أن "سانشـــــــو" قد عاش فيها بالفعل، وهو شخصية حقيقية تناولها " سرفنتيس " المعاصر لها وأضاف إليها شخصيته " دون كيشـــــــوت " وهو النموذج الذى كان يعيش فى العاصمة.. ولذلك يهتم مواطنو هذه القرية بسانشـــــــو أكثر مما يهتمون بدون كيشـــــــوت، لأنهم يرون فيه أنفسهم بطبيعتها الطيبة السمحة رغم أنهم يرفضون تماما صفة السذاجة التى لصقها به " سرفنتيس " .. وهكذا يطلقون اسم " سانشـــــــو " على المحلات المختلفة والمدارس والتحف التى تمثل " الحمار " وليس " الحصان " حمار سانشـــــــو وليس حصان دون كيشـــــــوت، والقنديل الذى كان يحمل الشموع فى مسرح " سرفنتيس ".

هذه المسرحية تتطابق تماماً مع أحداث الرواية بشكل مختصر ومركز، ذلك أن المؤلف لم يكتف بالإحتفاظ بالشخصيتين الرئيسيتين ولكنه حافظ أيضا على كل الشخصيات الثانوية الأخرى، بل وأشار إلى طواحين الهواء التى اضطر دون كيشـــــــوت إلى محاربتها فى نهاية حياته حتى المـــــــوت وسط تعاطف وعطف كل من حوله وأبرزهم تابعه المخلص الوفى الأمين " سانشـــــــو " الذى يعلم رغم سذاجته أن سيده يحلم بل ويخرف ويصر على الإنتحار ومع هذا يتبعه ولا يريد أن يخالفه أو يتخلى عنه لينجو بنفسه، ولا يملك فى

النهاية إلا أن يترحم عليه ويدعو لإحياء ذكراه. ليكشف عن الشخصية الأسبانية الحقيقية التى تجمع بين الطيبة والوعى، بين الشفافية والاستشراف وبين الواقع والخيال.

إن " سانشـــــــــــو " يحاول التراجع لأنه يدرك إلى حد كبير كنه المواقف والأحداث والشخصيات، ولكنه لا يستطيع، أحياناً من منطلق الشهامة وأحيانا من منطلق الرغبة فى الحصول على الجزيرة التى وعده بها سيده، وأحياناً خوفاً من غضبه وبطشه..

وأما " دون كيشـــــــــوت " فهو فى حقيقة الأمر " السنيور كيكسادا " الذى قرأ مئات الكتب وآمن بالحق والخير والجمال والفداء، فأعتقد أنه فارس، بل فارس الفرسان، وتصور أنه قهر الحاكم الظالم والأمير المخادع والحرس واللصوص والمـــــــــوت ذاته..

ومع هذا، كل هذا، لم يكن " كـــــيكســــادا " أو " دون كيشـــــــوت " كما أطلق على نفسه، ساذجاً أو أبله أو مخبولا، ولكنه ببساطة شديدة كان خيالياً وطيباً وشجاعاً.. حتى ضرب به المثل، وأصبح اسم " دون كيشــــــــوت " يطلق على كل من يريد صلاحا فى الأرض واصلاحا بين الناس على حساب نفسه وربما إضراراً بها..

وهذه هى صفات الأنبياء والمصلحين الإجتماعيين وزعماء الوطنية ودعاة الحرية..

وهذه هى صفاتهم جميعاً حتى وهم على فراش المـــــــــوت.. فدون كيشـــــــوت الذى شقى وتعذب ولقى الهوان، لا يستسلم، ويقول:" مكافأة الحكمة هى أن يموت الإنسان يحترق من يدافع عن الناس دون أن يملك ما يحميهم به ".. فيبصره دون كيشـــــــوت بالأمر قائلاً: " الأشياء البسيطة يمكن أن تكون هى الأكثر أهمية " وعندما يسأله سانشـــــــو: " من تكون؟ " يرد دون كيشـــــــوت بقوله: " فكر فيمن لا أكون وأنت تستطيع أن تعرف من أكون؟ "..

ويكاد دون كيشـــــــوت أن يستسلم وهو يقول للأمير وحاشيته: " الوقت الذى تضيعونه فى ضحككم الأجوف يتألم فيه غيركم من المرض والبؤس والفكر والحرب والكفاح "..

فيقوم سانشـــــــو من عزمه ويشد أزره وهو يقول له: " أنظر إلى من ينتظرونك يا سيدى.. كل الجائعين خبزاً.. كل الجائعين دفأ.. كل الجائعين حباً.. كل الذين تختفى عنهم الشمس.. كل الذين يبتاعون الهواء ليتنفسوا به.. كل المخدوعين، كل المسخرين، كل المحرومين من لقب إنسان! "

ويطمئنه دون كيشـــــــوت بقوله: " فيما تفيد السخرية من الضعف والخضوع لحاكم والخوف من أى شئ؟! ".. فيعلق سانشـــــــو بقوله: " فكرة فى اليد تشبه الريح، لكن ريحاً فى

الرأس يمكنها أن تتحول إلى فكرة .. وينهي دون كيشوت رسالته وحياته بقوله: " الكلمة الاخيرة لن تكون للشيطان ".. وهكذا يرحل " دون كيشوت " وهو مؤمن، مؤمن بالله قادر على تحقيق المستحيل الذى لم يقو هو على تحقيقه، لأن الله قد حقق المستحيل من قبل، خلق الكون والكائنات، وخلق الحياة والموت، وهو قادر على خلود الوجود، وقادر أيضاً على إنهائه بالعدم، لتبدأ الحياة الأخرى أو الآخرة.. ومن له هذه القدرة كلها، قادر كذلك على نشر الحق والخير والجمال أو تلك هى حكمته، فلا حكمة فوق حكمته، سبحانه!

ويبقى " دون كيشوت " رمزاً — فى الأدب العالمى — للغيرية لا الانانية، لحب الناس لا حب الذات، للبحث عن المطلق والافضل، والمجهول لا الاستكانة والرضوخ والأمان.

كما يبقى " سانشو " رمزاً للوفاء والاخلاص والتفانى.

ثم يبقى العمل الأدبى ذاته، تراثا خالدا ومددا خصبا وثريا تنهل منه الأجيال المتعاقبة!

فتحى العشرى

دون كيشـــــــــوت

بعد دقات المسرح الثلاث، تطفأ الأنوار تسمع ضوضاء كبيرة لحدائد تتدرج. إضاءة. أمام طاقة سوداء تحدد المستوى الأول لخشبة المسرح، ترى مباشرة فى الوسط كومة قطع معدنية تتدحرج بعضها فوق البعض الآخر وفى قلب هذه الكومة يتحرك رأس الحلاق الذى يصيح "

الحلاق: مزعج، غبى، شرس، أرعن، أجرد، غدار، عصبى، مجنون! مجنون بجنون، بالقانون مجنون، بالشرع مجنون، بالطب مجنون، مجنون عالمى، عقل ممسوس، عقل مفكوك، عقل زئبقى، كيميائى، عقل متبخر، سائل، مهتك، مسطح، متضخم، ممتلئ..جنون! جنون! جنون! " **على إثر صيحات الحلاق تهرع من اليمين ومن اليسار ومن العمق المربية والفتاة والقس "**

المربية: كان الله فى عونك! أين أنت إذن؟

الحلاق: فى نصف عمر الحديد!

القس: ماذا تفعل فيه؟

الحلاق: أبحث عن روحى.. بركاتك معى ربما تذكرنى الله!

الفتاة: ما هذا! من أين جاء هذا الجبل الضخم؟

الحلاق: أن هذا الصندوق جئت!

المربية: وهل هذا سبب حتى تولول على الجنون؟

الحلاق: من؟ أنا؟ أين؟ متى؟ ولماذا أولول على الجنون؟! هل هناك شيء طبيعى أكثر من أن يظل حلاق مثلى مزروعاً فى كومة حديد؟

المربية: عظيم، إذن أنت مصدوم؟!

القس: عظيم جداً!" **للمربية** " لن تغنى إذن للروح فى هذا البيت؟

المربية: تغنى" **للقس** " بالعكس لا يوجد هنا غير الغناء! أنا السيدة العاقلة..

القس: عاقلة؟ من هو العاقل فى نظرك؟

المربية: العاقل فى نظرى، من ليس مجنوناً.!

الحلاق: مجنوناً! تسمع، هى التى تبشر بهذه الكلمة فى البيت! شاهد

المربية: هيه! ماذا جرى! أقول مجنوناً لأنه لا توجد كلمة أخرى يوصف بها المجنون غير كلمة مجنون.

القس: هش! إمسكى لسانك أيتها التعسة!

المربيـــــة : اذا جرى؟ هل خرج من فمى نمر متوحش!

القـــس: كان من الممكن أن ترضى السماء عن قطيع من الغنم يخرج من فمك أكثر مما ترضى عن هذه الكلمة.. الله وحده هو الذى يعلم كم تستطيع كلمة مثل هذه تقال بهذه البساطة أن تدر من المصائب!.. هل تتحملين المسئولية؟

المربيـــــة: إستمر، إستمر! كتفاى فى قوة رأسى!

الفتـــــاة: لرأس! الرأس! يا ربى!

المربـــــيه: ماذا دهاك! ماذا فى كلمة رأس يخدش عذريتك؟

الفتـــــاة: ألا تعرفين؟ المخ!

القـــس: رأس! مخ!

الفتـــــاة: أريد أن أقول العقل! نعم العقل عندما يذهب العقل!

المربيـــــة : تقصدين الجنون!

الحـــــلاق: آى! أذناى تنفجران!

القـــس: تريدين الحق! " **للمربية**" هذا جنون فى جنون.

المربيـــــة: من الأفضل أن تصمت!

القـــس : طيب، صمتنا! ربما استطعنا أن نوقظ الشيطان النائم فى هذا البيت!

الفتـــــاة: تعتقد بحق أن الشيطان هو الذى؟

القـــــــــس: ربما! معقول!

الحـــــــــلاق: معقـول! هذه هى الكلمـة التى ينبغى أن تقال! ومن هذه الناحيـة فنحن أناس معقولون، أما من الناحيـة الأخرى " **يشير إلى عمق المسرح** "

الجميـــــــــع: هش! هش! هش!

"**فترة صمت يستدير الجميع ناحية العمق**"

المربيـــــــــة: اليـوم وصلت عربتـان محملتـان بالكتب القديمـة.. أليس هذا جنوناً!

الحـــــــــلاق: جنوون .. لو سمحت!

المربيـــــــــة: جنوون، جنووون، جنوووون!

الجميـــــــــع: هش!

القـــــــــس: تقولين اليوم؟

الفتـــــــــاة: عربتان من الحجم الكبير.

الحـــــــــلاق : عند الفجر! الروح تستيقظ عندنا مبكراً، الحديد هنا يعرف الوزن تماماً! إثنا عشر طناً من فلسفة " سقراط " خمسة عشر طناً من آراء " أفلاطون "، أربعة وعشرون طناً من كتب الفارس " جينكيز خان "، إثنان وثلاثون مجلداً من " ثورة أسبارتاكوس "، سبعة وستون من كتب " لورانس ".. وتلك زيادات

فوق الحمولة.

الفتـــــــاة : وهى لا تكلفنا أكثر من ٧٥ ألف متر مربع من أجود أراضى القـمح.. يعنى نجـوع ونتـعـرى.. لا يهم أن نجوع، لكن أن نتعرى!

القـــــــس : يا لها من فضيحة!

الحــــــلاق : أظل أحلق له ولا فائدة! والنتيجة؟

المربيـــــــة : وأنا، أخدم من؟ شبح أسـود طويل لا يرتدى غـيـر تراب الكتب.. شبح جففـه سم القراءة.. أخدم شبح المرحوم الميت المجنون!" **تبكى** "

القـــــــس : يا له من حب، انظروا كيف تحبه!

الحــــــلاق :" **وهو يبكى** " ومـا دام هناك شىء متبقى لنا، وجب علينا أن نسهر على ما يتبقى له !

القـــــــس : يا له من حب، كم تحبونه حقاً!

المربيـــــــة : لأننا طيبون وعاقلون!

الفتـــــــاة : المعـقـول ومـا يجب أن يحدث هو أن نحـرق هذه الكتب، سبب المصائب !

المربيـــــــة : إلى أن تصير رماداً.. هذا ما يجب أن يحدث. وهذا هو المعقول.

القـــــــس : هذا هو المعقول.. ولا بد أن تكسر باب حجرة القراءة.

الحـــــلاق : إذن ننتظر خروجه!

الفتـــــاة : خروجه! إنه لم يضع قدميه خارج صومعته منذ أكثر من عام

المربيـــــة : ولا أحد يستطيع تنظيفها من القاذورات.

القـــــس : شيء من البخور.. ربما!

الحـــــلاق : وماذا تنتظر؟

القـــــس : الباب مغلق!

الحـــــلاق : إذا كانت هذه هي المشكلة، دعني أجد الحل" **يصيح وهو متجه إلى العمق** " سنيور، يا سنيور! أنا حلاقك! افتح أكرمك الله!

المربيـــــة : "**للقس** " استعد! ما إن تلمحه اقترب منه واسأله عن صـحـتـه.. ولأنقلب خنزيرة إن لم يكن رده ثلاث حربات تكسر لك ثلاثة ضلوع.!

القـــــس: صحيح!

الحـــــلاق : وربما فتح جانبك بضربة سيف أو شق جمجمتك بضربة فأس.

الفتـــــاة : المهم ألا تتضايق.. كل شيء على حسب مزاجه، حسب اليوم الذي يراك فيه.

القـــــس : في الواقع، في الحقيقة، لم أكن مستعداً لهذا اللقاء.

عندى أعـمـال هامـة فى أمـاكن أخـرى.. " **ويهم بالرحيل** "

الفتـــــــاة : " **تمسك به** " لا يوجد أهم من هنا!

القـــــــس : عندك حق " **يوحى بالرحيل من جديد** " أصدقك!

المربيـــــــة : " **تمسك به** " هذا لا يكفى، لا بد أن تراه وتتحدث معه!

القـــــــس : ماذا تريد أن أقول له؟

الحـــــــلاق : أى شىء! على كل هو لا يسمع أى شىء!

القـــــــس : إذن فيما يفيد الكلام معه؟ " **يحاول الرحيل من جديد**"

المربيـــــــة : " **تمسك به** " فى ضربات الحربة والسيف والفأس التى وعدناك بها.

إظلام

بينما ينخفض الضوء فى المستوى الأول، تاركاً فى الظل الشخصيات الأربع أمام مقدمة المسرح من الناحية اليسرى، تفتح الطاقة فى المستوى الخلفى وراء ستار من التل يتصاعد الضوء ويظهر كالشبح، خيال دون كيشوت وهو يجلس فى مقعد مرتفع، مصلوب القائمة ثابتاً بلا حراك، وقد تسلط عليه

الضوء وحده، فى شبه هالة

يرفع ستار التل ببطء بينما تختفى الهالة المنيرة وتملأ الأضواء خشبة المسرح بعد ذلك يتضح وبشكل محدد ظهور دون كيشوت الذى يبرزه الديكور، هذا الديكور عبارة عن تشكيل مسرحى يتكون من براتيكابلات مختلفة الإرتفاع تظل على امتداد العرض بحيث يتصل كل مشهد بالمشهد الذى يليه عن طريق اتصال كل براتيكابل بالآخر دون فتحات بينها. وبحيث تدور الأحداث سواء فوق براتيكابل واحد أو أكثر أو فوقها جميعاً حسب أهمية المشاهد.

يدور المشهد الأول فوق المساحة كلها.

عدد كبير من الأقواس يتدلى بالحبال فى نهاية كل قوس علقت بعض الكتب المثبتة على ارتفاعات مختلفة وبأحجام متنوعة. بعض هذه الكتب ضخم ومغلف بالجلد المطعم بالذهب. والبعض الآخر مفتوح أو مشدود من الخلف والبعض الأخير معلق بميل شديد. كل هذا على هيئة غابة من الكتب. أمام دون كيشوت وعلى مسافة قصيرة منه توجد مائدة على طراز العصر وقد غصت بالكتب وصكوك الشرف

وقد شد دون كيشوت إلى هذه المائدة بنسيج عنكبوتى طويل بادئاً من مقعده وممتداً من لحيته وأطراف أصابعه. بالقرب من مقعد دون كيشوت ثبتت ثلاثة مجلدات ضخمة فى ارتفاع الإنسان وبشكل مستقيم. داخل هذه المجلدات يقبع بعض الممثلين الذين تظهر أقدامهم وأذرعتهم فقط حيث لا توجد لهم رؤوس وقد أمسك كل منهم بيده حربة فارس مشكلين بذلك حرس دون كيشوت.

فى المستوى الأول، خلف الحلاق والمربية والقس والفتاة ساتر يحجبهم عن دون كيشوت".

المربية: " **بصوت منخفض للقس** " أرأيته؟

القس : رأيته! رأيته! لقد تغير!

الحلاق : " **وهو يقترب ببطء من دون كيشوت** " كما طلبت منى، هبطت إلى الحديد. لكن كما يقولون: حديد صدئ فى اليد أفضل من كنز فى الهواء" **يضحك ببلاهة ثم لا تلبث ضحكته أن تموت أمام صلابة دون كيشوت.بعدها يعود إلى المستوى الأول فى مواجهة الساتر ويتوجه بالحديث**

إلى القـــــس " تقدم إذن! هاأنا قد هيأت لك الجـو.. عندك حظ، مزاجه على ما يرام.. كل ما هنالك إنك ستصلب بثلاث أو أربع ضربات..

المربيـــة : هيا، هيا إذن! " **تدفعه إلى وسط المكان** "

الفتـــاة : كن عاقلاً.. من أجل خاطرنا " **تدفعه بدورها** "

الحـــلاق : يا للكارثة! أظهر كراماتك! ألا يعيب مقامك ومركزك الإهتمام بضلوعك أكثر من مستقبلك.

يدفعه الثلاثة وقد تكور على نفسه. وفجأة يتسمر الجميع فى أماكنهم فقد بدأ دون كيشـــوت يتكلم".

كيشـــوت : عزيزى! إقترب، إقترب أكثر، لدى سر كبير أريد أن أطلعك عليه.

الحـــلاق : ألم أقل لك؟ يقول لك عزيزى!

القـــس : **"للآخرين "** يقول لى أنا ؟

المربيـــة : لمن إذن؟

كيشـــوت : عزيزى! يا عزيزى!

الفتـــاة : هيا إذن! إذا نفد.. صبره.. علينا العوض!

القـــس : " **يقترب فى خشية** " سيدى.. يشرفنى.. ويسعدنى.. أريد أن أقول.. أريد أن أراك فى

صحة طيبة.. و.. صحة طيبة.. نعم.. هذه هى
الكلمة.. طيبة، طيبة.. وأستطيع أن أقول أيضاً..
إنه.. إنه.. عندما يقوم إنسان بزيارتكم.. فلا بد..
نستطيع أنتم وأنا.. أنتم وأنا..

كيشوت : خسارة أن مرور الوقت يشوه هذا الكلام العظيم وذلك الحديث الرائع ن الكتبة كانوا يوفرون الحبر وبعد قرن أو قرنين أجمل الصفحات لا تقرأ..

القس : " **للأخرين** " ماذا يريد أن يقول؟

الحلاق : لا تهتم! هذه هى طريقته فى استقبال الصباح!

القس : سيدى.. انا.. بما أن القدر السعيد يريد.. يريد أن.. ربما استطعنا ؟

كيشوت : لا تشغل بالك أكثر من هذا ، أيها الفارس الشجاع. لا شك إنى سأقرأ لك أشياء أفضل فى الفقرة القادمة.. إقلب الصفحة من فضلك..

القس : هيه؟

كيشوت : إقلب الصفحة، أقول لك!

القس : " **للآخرين** " يريدنى أن أقلب أية صفحة؟

المربية : أية صفحة هذا أمر يرجع لك أنت.

كيشوت : الصفحة البيضاء، الصفحة البيضاء! صاحب المكتبة أعطانى كتاباً كله صفحات بيضاء!

القــــــس : سيدى، أرجوك..

كيشــــوت : ماذا! هذا ليس خطأك أيها الفارس الشجاع، سأشترى لك نسخة ثانية، إنتهى الأمر!

القــــــس : تعرف علي يا سيدى.. أنا.. أنت تعرفنى.

كيشــــوت : إستمر في الكلام أيها الساحر! هذه المرة لن تضحك على! كل ألاعيبك لن تجعلنى أخطئ فى معرفة الكتـــــاب أو الـ ...

القــــــس : لكنى لست كتاباً يا سيدى.

كيشــــوت : لست كتاباً! لست كتاباً! لا يهم! سنعرف هذا من لون دمك! يقف على إمتداد قامته والسيف فى يده"

الحـــــلاق : يا للكارثة! سيف! تعكر مزاجه!

كيشــوت : " **للحلاق** " وأنت ماذا تفعل هنا، يا جزء ثالث من حركة رونسوفو.

الفتـــاة : سيدى، أنا..

كيشــوت : " **للفتاة** " وأنت يا رابع فصل من روميو وجولييت.

المربيـــة : استر يا رب! يجب أن أستمر..

كيشــــوت : "**للمربية** " وأنت يا مذكرات علاج للغيرة، ما هذا التمرد الذى تنظمـــينه ضـــدى؟ هكذا؟ من يفكر أن يكون عدوى، خيـاله واسع.. أو تجلد أربعة مجلدات تعسة

بجلد حلاق ومربية وعذراء وقس! أو ربما أعتقد
أنكم ستضللون عقلى بحيلكم الرخيصة هذه،
عموماً سأنسى غضبى ما دامت المسألة مضحكة "
للشخصيات الأربعه " أما أنتم يا طبيعة مشوهة،
الزموا أماكنكم وإلا سلمتكم ليد الهون! "**يهز
سيفه. تهرع الشخصيات الأربعه إلى المقدمة وتقف
فى مواجهة الساتر لتحتمى به. وهنا يلاحظ أن
الساتر يتكون من أربع ورقات. كل ورقة تنطوى
على شخصية مشكلة بذلك غلاف كتاب.
الحلاق والقس والفتاة
والمربية يتحولون بهذا إلى أربعة كتب**".
أعتقد أن الحادث انتهى بالنسبة لى! " **يعود إلى
الجلوس** "

القس :" **داخل الكتاب**" أسأل نفسى ما هى
التفاصيل فى شخصيتى التى تجعله يظننى كتاباً؟

المربية : " **داخل الكتاب** " وأنا التى لا تعرف
القراءة!

الحلاق : " **داخل الكتاب** " نحن والحمد لله عقلاء،
لسنا منهم. "

الفتـــــــاة : " **داخل الكتـــــــاب** " كتب! كتب! يعتبرنا كتباً، ماذا ستكون سيرتنا إذن! "**ينفجر الثلاثة ضاحكين وكأنهم ثلاثة كتب ضخمة تهتز**".

كيشــــــوت : عظيم! هرجوا كما يحلوا لكم! جاء الوقت، الوقت جاء! إلزموا معابد الخيانة والرعب يا أجبن سحرة، يا خداعين، يا نهازين، يا أكبر كفرة يا ثعابين، يا بنى آدمين بقلوب ميتة، يا ظلمة يرتدون روب العدالة! جاء الوقت، الوقت جاء! إنتبهوا جميعاً! أنا أنهض.. إنى أتكلم! وسأنفجر! " **لا يلبث أن يقف منتصب القامة ثم يتقدم إلى الأمام فى مواجهة الجمهور** " أنا مستعد أقرانى، أمرائى، أسيادى، فرسان الفروسية القديمة الشجعان، يا من صنعتم من سبارتاكوس زعيماً ومن جينكيز خان قائداً ومن لوركا مبشراً! فرسان المعارك العنيفة يا من نزعتم نيرون من روما أتسمعوننى؟ أنا مستعد! إننى أنتظر! "**تسمع أصوات موسيقى غريبة كأنها كوابيس، وترى ظلال متحركة تملأ المسرح بينما تتردد أصوات تتناهى من كل جوانب الصالة**".

الأصـــــوات : **" تتـوالى "** الذراع اليمنى التى تحمى الشجاعة" **دون كيشــوت يرفع ذراعه اليمنى** "الذراع اليسرى التى تحمى الجراءة" **يرفع ذراعه اليسرى** " الصدر الذى يحمى القلب " **يحدب نصفه الأعلى** " عين الضمير" **يغمز بأحدى عينيه**" عين العدالة " **يغمز بالعين الأخرى** " اللسـان الذى يقطع النميـمـة " **يخرج لسانه** " الفخذ اليمنى " **يرفع فخذه اليمنى** " الفخذ اليسرى" **يرفع فخذه اليسرى** " القاعدة" **يظل بلا حراك** " القاعدة! القاعدة يا سيد يا مرشح، القاعدة التى بدونها لا يستطيع الفارس أن يقعد على جـــواده! القـــاعـــدة من فـــضـلك " **دون كـيشـــــــــوت يتردد ، يدير ظهره للجمهور وينحنى ليبين أسفل ظهره**" عظيم الآن أيها الخبراء الفرسان، ما هى النتيجة! كل شئ مهيأ لفارس حاكم! ولهذا نعلن أنه فارس حاكم كامل! ننتقل الآن للإيمان! " **نفخة بوق. دون كيشـــــــوت يقترب أكثر من مقدمة المسرح** ".

كيشـــــوت : يا سادة يا فرسان، يا من تضرب أسماؤكم الرنانة فى أذنى كالحقيقة! يا من تلمع أعمالكم العظيمة

فوق رأسي كالنجوم.. ها هو قلبي، ها هي رئتي ها هو طحالي وها هو كبدي، ها هي عروقي وها هو دمي، كل ما يجعلني أحيا، يعني كل حياتي بما فيها شعر ذقني في خدمة كل ما تعلمته عن طريق هذه الكتب.. بعدما شربت بعيني بهريز أرواحكم، يخيل إليّ أن الجو مناسب وضروري من أجل مجدي الشخصي ومن أجل مصلحة العالم كله أن توافقوا اليوم على جعلي فارساً جوالاً..

الصوت : وما شكل هذا الفارس؟

كيشوت : غير مرئي!

الصوت : ماذا يحارب هذا الفارس!

كيشوت : الكذب والطغيان!

الصوت : بأي أسلحة؟

كيشوت : أسلحة الشجاعة!

الصوت : لمن ينتقم؟

كيشوت : للضعفاء!

الصوت : ومن يسعد؟

كيشوت : الحزاني!

الصوت : ماذا تساوي حياته؟

كيشـــــوت : مخاطرته بها!

الصـــــوت : وما هو هدفه؟

كيشـــــوت : العدالة!

" يقف معتدلاً فى مواجهة الجمهور، متهلل الوجه"

الصـــــوت : الحكم بعد المداولة! **"نفخة بوق. من أعماق المكتبة تنسلخ خمسة كتب، أى خمس شخصيات تخرج أقدامها وأذرعتها من تجليداتها. ثم تجرى مجتمعة نحو مقدمة المسرح فى أحد الجانبين وتتوقف وهى تتهامس". " نفخة بوق. الكتب الخمسة تستدير ناحية دون كيشـــــوت"**

الصـــــوت : الحكم! **" نفخة بوق"**

كورس الكتـــب: كن كما ينبغى أن تكون!

كيشـــــوت : باسم المـــــــارد مرجان، من حمل ثقل العالم، أقسم أن أكون كما ينبغى أن أكون!

الصـــــوت : الحرس الخاص!

" **الكتب الثلاثة التى كانت تقف حرساً بالقرب من دون كيشـــوت تجرى فى مقدمة المسرح نحو الحديقة وتبدأ فى التصويب على حبل مركب تتدلى منه أقواس. وبينما يصوبون على الحبل يتطاولون**

على كومة الحديد التى كان الحـــلاق مغروساً فيها عند رفع الستـار. وبينمـا يتطاولون تتـخذ كـومـة الحديد شكل خوذة غـريبة حيث تتشابك أجزاؤها الغريبة بخيوط كثيرة. وهنا تقود الكتب الثلاثة دون كيشـــــوت فى احتفال مهيب أمام هذه الخوذة وتجتهـد فى أحكام الزى على جسده بينمـا الكتب الخمسة الأخرى وهى تفرد أوراق غلافها على هيئة أجنحة تنشد فى جوقة على أنغام حزينة".

الكـــــورس : الفارس الشجاع جسده هو درعه ودرعه هو جسده.. الفـارس الشـجاع خـوذته هى رقـبتـه، ورقـبتـه هى خوذته.الفارس الشجاع ذراعه هو سيفه وسيفه هو ذراعـه.شـجـاعـة الفـارس أهم من زى الفـرسـان الشجعان.كبرياؤه فى قفازه، جراءته خارج أرضه. الفـارس الشـجـاع مـتى وضع ركـبتـه فى الركـبـة، وفخذه فى السترة وقدمه على الحصان، لا يمكن أن يهـزم! **"دون كـيـشـــوت يحـتـمى الآن بالدرع المصنوع من النحاس والمعدن. وقد أدرك أن فخذه اليسرى غير محمية".**

كـيـشـــــوت : وهكذا! يتبـقى نصف كـيـشـوت.. نعم! نصف

كيشـــــوت! ألا ترون أن هذا الفخذ بغير سترة
نقطة ضعف يمكن أن يستغلها العدو؟.. أنت يا
حلاق! نصف كيشــوت الأيسر! ماذا فعلت فى
نصف كيشـوت الآخر؟ يا حلاق! هيه!

المربيـــــة : " **للحلاق داخل كتابه** " ألا تسمعه يناديك؟

الحــــلاق : من أنا؟ أنا أصم كالكتـــــاب!

كيشـــــوت : حلاق فاجر! خطأ جاهل من الممكن أن يجعل أقوى
فخذ لأشجع فارس كما لو كان كعب أسيل. " **أحد
الكتب يتقدم حاملاً رمحاً، يضعه فى كف دون
كيشـــــوت**".

الكتـــــاب : الرمح!

كيشـــــوت : نعم! الرمح!.. لكن أين كيشـــوت الأيسر! " **كتاب
آخر يتقدم بالخوذة ويضعها على رأس دون
كيشـــوت** "

الكتـــــاب : الخوذة!

كيشـــــوت: الخوذة! الخوذة! ليست هى التى ستغطى فخذى..

المربيـــــة : " **داخل كتابها** " لا أحد يعرفها؟ لا بد من المحاولة
على الأقل.. " **كتاب آخر يتقدم بمحبرة وريشة** "

الكتـــــاب : والآن أيها الفارس، جاءت الساعة التى ينبغى أن

تعلن فيها بصـــــــــوت مرتفع إسمك الحربى.

كـيشـــــــوت: إسمى الحربى! هذا هو الوقت المناسب! إن كنت لا أعرف بعد إسم الشيء الذى سيحمى فخذى الأيسر!

الأصـــــوات : إسمك الحربى أيها الفارس.

كيشـــــوت: " **مخاطباً جمهور الصالة** " لحظة واحدة، لا يمكن لفارس شجاع أن يحقق المجد بكيشـــوت واحد.. يا حلاق احضر كيشوت لسيدك!

الحـــــلاق : كيشوت! كيشوت! ها هو كيشوت صلب يحطم رأسك! اذهب إلى الشيطان يا سنيور دون كيشوت! **دون كيشوت يتسمر فى مكانه كالمصعوق** "

كيشـــــوت: دون ماذا ؟

الحـــــلاق: كيشوت!

كيشـــــوت: حسن! يا ساحر السوء، إحترس أنا لا أضحك للشتائم التى تسبنى.

الكتـــــاب: للمرة الأخيرة أيها الفارس، ما هو اسمك الحربى؟

كـيشـــــوت: " **وهو لا يزال واقعاً تحت تأثير الإهانة** " دون كيشوت! دون كيشوت! " **يتردد الإسم كرجع صدى:** دون كيشوت! دون كيشوت! دون

كيشــوت "

الكتـــــــاب: نعلن أن هذا الإسم الحربى مكتوب من الآن وإلى الأبد فى سجل الأجيال القادمة.

كيشـــــــوت: هيه؟ ماذا ؟ أى إسم؟

الكتـــــــاب: دون كيشـــوت!

كيشـــــــوت: دون كيشـــوت؟ الأجيال القادمة؟. هيه!.." **يهرع إلى مقدمة المسرح وهو يصيح** " هو! انتظروا لحظة يا سادة..

الأصـــــوات : كتب " **نفخة بوق** "

كيشـــــــوت: " **مستسلماً** " طالما كتب!. دون كيشـــوت!.. ولا زلت أفكر فى أن مـــا ينقص فـــخـــذى هو الذى سيغطى مجدى! دون كيشـــوت! أى نعم هذا هو الإسم الذى يمكن أن يصـــيـــر يومـــاً إسم رب الإمـبـراطورية!.. دون كـيـشـــوت! هناك شىء.. شىء جميل عـالمى وعظيم يتردد بداخلى. شىء من الممكن أن يكون أنا! و" **يسمع صـــوت صـهـيل حاد** " تتعجلنى، حـاضر يا جوادى، حالاً تشتعل الأرض تحت حـوافـرك بنار المعـارك، حـالاً يدخل الريح فى خياشيمك رائحة إنتصاراتنا.." **يتجدد**

الصهيل " طيب، طيب، لا تتعجل يا ملك الفرسان الشجعان، يا أعظم من جواد نابليون، يا عطشان معارك أكثر من جواد الإسكندر، آه يا جوادى، من بين كل الجياد أنت فرفورى..

الكتـــــــاب : " **لحامل المحبرة** " فرفور!

كيشـــــــوت : " **للكتاب** " هيه؟ ماذا؟

الكتـــــــاب : أكتب للأجيال المقبلة إسم فرسك، يا فارس الفرسان، فرفور!

كيشـــــــوت : فرفور!

الكتـــــــاب : أليس هو الإسم الذى أطلقته الآن؟

كيشـــــــوت : لكن..

الكتـــــــاب : لكن ماذا. لقد كتب" **نفخة بوق ثم صهيل** "

كيشـــــــوت : لا تعارض يا فرسى! لقد كتب! لقد بدأ القدر مسيرته ونحن وراءه! لا توجد قوة تمنعنى من أن أكون دون كيشـــــــوت أو تمنعك من أن تكون فرفور، فرفور، هذا هو إسمك!" **صهيل** " ليس كصـــوت الفرس المجنح الذى يستعد لضرب كل شياطين الأرض؟ ستفيدنى فى الليل وفى النهار! لا أتمنى أكثر من هذا! وبما أن الأمنيات العظيمة

تهبط من أعلى، أستطيع القول بأنك هبطت من السماء يا فرفور!" **صهيل جديد وشديد** " ".

بينما يتدلى من الأقواس شكل معدنى مشبك وغريب على هيئة جواد غير مجسد" ها هو! أريد أن أصعد ! " **الكتب تهرول وترفعه إلى الجواد، بينما ينطلق النفير ويجد نفسه فوق الجواد فى مواجهة الجمهور** " انظروا كيف إرتفعت فى لحظة! أشعر أنى هنا بعيداً! وكأن الدنيا تنام من تحتى كبطن القرية. كل الأشياء هنا واضحة. أقل شيء أصغر شيء.. أشعر يا سادة أن شيئاً لا ينقصنى!.

" **راعية غنم ممزقة الثياب ولكنها تتمتع بوجه غاية فى الجمال تدخل من مقدمة المسرح وتخترق المسرح وهى تغنى"**

لو كنت أملك ثلاثة خنازير يا أمى.. لأحببنى الوزير.

لو كنت أملك عشرة خنازير يا عمى.. لأحبنى الأمير

لو كنت أملك مائة خنزير يا قلبى.. لأحبنى الملك.

دون كيشوت يمعن النظر إلى الأمام ويصدر آهة. تتسمر الراعية فى الحال كتمثال. الكتب تهرع ناحية دون كيشوت "

الكتاب الأول : ماذا هناك يا مولاى؟

كيشوت : لاشيء!

الثانى : هل تتألم؟

كيشوت : لا.. يعنى.. التعب العادى لكل فارس شجاع.. آه!

الثالث : لكن يا مولاى!

كيشوت : أحب! كدت أنسى أنى أحب! آه يا له من حب يسرى فى الجسد دفعة واحدة..

" **والراعية تضحك ضحكة بلهاء. دون كيشوت يدير رأسه ناحيتها** "نعم، نعم، اضحكى أنت التى نبهتينى! اضحكى مادام هذا هو سلاحك! سأحارب وأعود إليك مليئاً بالمجد! "**الراعية تتمادى فى الضحك** " اضحكى! إشفى بالضحكة الصافية غليل الفارس الواقف على عتبة المجهول. وأعدك بأنى لن أشرب من أى نبع حتى لو تعرضت للموت إلا إذا كان صافياً مثل ضحكتك، صابحاً مثل شفتيك." **تضحك مرة**

أخـرى نفس الضـحكة " الوداع يا أملى، يا من أنتظرها منذ مولدى، أسلمك الآن كل ما تبقى من عـمرى.. الوداع يا أمل المخاطر والبطولة، يا أمل الثروة العظيمة، اذكرى الفارس الشجاع دون كيشوت من يملك العالم ولا يملكه غيرك" **بلهجة ساذجة**" ما اسمك؟" **تنطلق ضاحكة وهى تخرج** " ما اسمها آه أيها الشيطان الملعون! لماذا تصم أذنى! كيف أحبها وأنا لا أعرف اسمها؟ يا ربى! هل هو صافى؟ هل هو بوسى؟ هل هو فوفى؟ ربما هذا! أبداً ليس هو! إذن شىء آخر، اسمها ليس له مثيل وجمالها ليس له شبيه.. التاج اللولى لا يصبح تاجاً إلا على شعرها الحرير، الجواهر والماسات لا تكتسب بريقاً إلا وهى فوق جيدها! يا أمل شهرتى يا إسماً من نور، لا يطلق إلا عليك

صـــــوت : لوسى..

كيشـــــوت : لا! هو اسم من نور باهر..

صـــــوت : لوسيا..

كيشـــــوت : لا! من نور باهر وسماوى..

صـــــوت : دولس..

كيشـــــــوت : نعم.. لكن من النور الذى يغير الروح..

صـــوت الراعيـة : دولسينا!" **فترة صمت** "

كيشـــــــوت : " **يظل جامداً** " الآن عرفت الإسم الذى نطقته.. سمعته.. لن تتمكن أيها الشيطان اللعين من قتل ما تناهى إلى أذنى! دولسينا! دولسينا!

الأصـــــوات : كُتب. " **أبواق** "

كيشـــــــوت : والآن أيها السادة، لا شىء ينقصنى! وبضربة واحدة سيفتح الطريق أمامى.." **كل الكتب المدلاة تبـدأ فى التـحليق ناحيـة الأقـواس** ".. والحواجز والستائر والأبواب والجدران كل شىء سيقع وينهار! أنا الآن طليق يا فرفور طليق وراء الجبل والسفح والسهل والنهر! وأبعد من هذا! أبعد! وسأعرف فى النهاية ما هو أبعد من ذلك.

إظلام

" بروجكتور يضىء براتيكابل ناحيـة الفناء. فوق البراتيكابل يقف سانشـــو وتيريـــز"

سـانشـــــــو : مـا هو أبعـد من ذلك لا يعنينا.. العـقل يا زوجتى، العقل يقول أن مصلحتنا تقف عند طرف خرطومنا" **يشير إلى أنفه**

تيريــــــــز : معنى هذا يا سانشـــــــــو يا زوجى أن خرطومك قصير جداً..

سانشــــــو : لا يوجد أطول منه.

تيريــــــــز : طيب! وفر صحتك لأولادك.

سانشــــــو : ومم يشكون! صحتى هى ثروتى..

تيريــــــــز : هل رأيت ما يتبقى من بطن مفتوح؟

سانشــــــو : كلا! هل ترين يا زوجتى العزيزة إنى ناضج بما فيه الكفاية حتى أوضع فى صندوق المـــوتى؟

تيريــــــــز : قراءة العواقب من حسنات الزوجـــــــــة المخلصة.

سانشــــــو : عندك حق يا سيدى، أما إذا كنت تطمعين فى موتى ولهذا تريدين أن أشترى الخمسة أفدنة، فتأكدى أنى لست متعاطفاً مع هذه الأرض.

تيريــــــــز : حقاً!

سانشــــــو : حقاً، ماذا؟

تيريــــــــز : أعلم جيداً ما لا يروقك فى هذه الأفدنة الخمسة!

سانشــــــو : ياسيدتى ، لا يروقنى أن أشتريها، هذا هو السبب!

تيريــــــــز : لا يروقك أن تشتريها أم أن تملكها!

سانشــــــو : العقل يا سيدتى ماذا أفعل بهذه المساحة؟

تيريـــــــــز : تزرعها يا روحى!

سانشـــــــــو : أزرعها إنها أرض بور!

تيريـــــــــز : لديك محراث!

سانشـــــــــو : عظيم! ها هى الأفكار النيرة للسيدات النيرات!

" إلى المحراث يا سيد سانشـو، إلى المحراث "!

تيريـــــــــز : يا لها من فلسفة تلك التى تدعـوك للنوم فى وضح النهار

سانشـــــــــو : لا أحب المغامرة فى الليل! الظلام يخيفنى!

تيريـــــــــز : جبان!

سانشـــــــــو : نعم، يا حبى، أنا جبان، وأتمتع ببعض الحسنات من نفس النوع الذى يجلب السعادة!

تيريـــــــــز : وأنانى!

سانشـــــــــو : وأنانى.. أيضاً!

تيريـــــــــز : آه، لو جاء إبليس وطرق بابنا لأسلمتك إليـه حتى تتحول إلى جمرة نار فى جحيمه.

سانشـــــــــو : أحب الدفء!

" ضـرب على البـاب. فـتـرة صـمت. سـانشـــــو وتيريـــز يتوقفان بلا حراك. سانشـــــــو ينظر ناحيـة البـاب فى حيـرة" أحب الدفء.. فى

الظل.. على أن أحتسى شيئاً بارداً" **الضربات تزداد** "

تيريـــــــــز : وبعد! افتح..

سانشــــــــو : ولماذا أنا؟ أنا لست اجتماعياً، وحافى القدمين وأنت الأقرب إلى الباب.. ثلاثة أسباب تجعلك تتحركين لتفتحى أنت.." **الضربات من جديد. تيريـــــــــز تتجه نحو الباب. فى إطار الباب يظهر دون كيشـــــــــوت كالخيال. تيريـــــــــز تصرخ** ".

تيريـــــــــز : آه!" **تهرول نحو سانشــــــو**"

سانشــــــــو : " **مرتعداً، يقول بصوت منخفض لتيريـــز** " ذكرت اسم إبليس؟!

كيشــــــــوت : من أنتما؟

سانشــــــــو : دون أن نعنى إهانتك، أليس من الأفضل أن يقدم الضيف نفسه أولاً؟

كيشــــــــوت : الضيف؟ أليس هذا واضحاً، أم ماذا؟

سانشــــــــو : واضح! لكن أمام الشرف الزائد، يغلب الشك!

كيشــــــــوت : لا مجال للشك! أنا هو أنا!

تيريـــــــــز : فى الحقيقة.

كيشـــــــوت : فى الحقيقة.. أنا مفيد جداً..

تيـريـــــــــز : لا، لا! لا أريد أى خـدمـة.. أنا سـعـيـد هكذا، وأيضـاً أحب سانشـــــــــو هذا من كل قلبى، وأحتاج له كما أحتاج للهواء.. سامحنى إذا كنت قد غيرت طريقك.

كيشـــــــوت : لا أحد يستطيع أن يغير طريق الفرسان الشجعان يا سيدتى.. هذه الطرق مستقيمة فى العادة وإذا اعوجت بالصدفة علينا أن نعيدها إلى الإستقامة.

سانشـــــــو : الفارس الشجاع؟

كيشـــــــوت : بالعناية الإلهية!

سانشـــــــو : يعنى لست..

كيشـــــــوت : فكر فيمن لا أكون وأنت تستطيع أن تعرف من أكون؟

سـانشـــــــو : كم أنا أبله حقاً! أرى جيداً أنك الفارس الشجاع! لست ضريراً حتى أعتقد أنك إبليس. إذا كنت الشيطان كنت سأرى جيداً أنك الشيطان! لكن أى شـــيطان ذلك الذى يجىء لزيارتى فى بيتى.. كان سيحكم على نفسه بالهلاك. وكنت سأحيله إلى شيطان أبله، وأعذبه عذاب الشيطان نفسه.. مسكين هذا الشيطان.

كيشـــــوت : تسعدنى هذه الشجاعة..

سانشـــــو : شجاعتى فى خدمتك يا سيدى الفارس الشجاع.

كيشـــــوت : فى كل شىء؟

سانشـــــو : جرب، ماذا أستطيع أن أفعل؟

كيشـــــوت : أسق جوادى..

تيريـــــز : إذا كان هذا هو الإمتحان فسأثبت شجاعتى حقاً.

سانشـــــو : " **يناول زوجته جردلاً** " إسقى جواد الفارس.

تيريـــــز : ضرورى شجاعتك تصيبنى أنا بالأذى.. " **تيريـــز تأخـذ الجـردل من يد سـانشـــو وتخـرج. دون كـيشـــوت يمعن النظر فى سـانشـــو الذى لا يدرى كيف يتصرف** ".

كيشـــــوت : كلما نظرت إليك.. كلما.. قل لى يا سيد سانشـــو، ألا تحس فى داخلك بروح الحكم؟

سانشـــــو : الحكم؟

كيشـــوت : تحكم؟!

سانشـــــو : يا إلهى، كيف عرفت هذا، سيدى الشجاع؟

كيشـــــوت : من فخذك.

سانشـــو : سل زوجتى،لا أكف عن ترديد قولى أمامها " لو كنت على رأس حكومة ".

كيشـــــوت : ما رأيك فى جزيرة؟

سانشـــــو : أفندم!

كيشـــــوت : جزيرة! لو منحتك جزيرة !

سانشـــــو : لماذا ؟

كيشـــــوت : لتحكمها..

سانشـــــو : تريد أن تقول جزيرة. عليها بشر؟

كيشـــــوت : جزيرة مليئة بالبشر.

سانشـــــو : بشر.. أحياء؟

كيشـــــوت : أعتقد أنه لا يحكم غير البشر.. الأحياء.

سانشـــــو: هيه! لو حكمت أحياء فوق جزيرة، أؤكد لك إنه لن تبقى بوصة واحدة من الأرض بور! لن ينام فى فراشه كافر واحد، ولن يستمتع جبان واحد بملذات الحياة! ولتشهد علىّ السماء.. لن أستمتع بيوم أجازة إلا عندما تدخل خزائنى آخر خردلة من ذهب الجزيرة.. وعندما أصبح ثرياً، ثرياً بالفعل، أعلن الحرب حرب المال والأمجاد!

كيشـــــوت : منحتك إياها.

سانشـــــو : الأمجاد؟

كيشـــــوت : الجزيرة.. يعنى المال والأمجاد والحكم دفعة

واحدة.

سانشـــــو : لا، أنت تسخر منى!

كيشـــوت : شكلى يوحى لك بأنى أمزح؟

سانشـــــو : بالطبع لا.

كيشـــوت : إنى أمنحك هذه الجزيرة يا سانشـــــو.

سانشـــــو : معنى هذا إنك ثرى مثلما أنت طيب هكذا؟

كيشـــوت : هذا العالم كله ملكى.

سانشـــــو : فى هذه الحالة أقبل الجزيرة دون أن أخشى الخطأ.. أين الجزيرة؟

كيشـــوت : سأسلمها لك بنفسى بمجرد غزوها.

سانشـــــو : آه! طيب.. لأن الجزيرة.. فى الوقت الحاضر!

كيشـــوت : فى الوقت الحاضر، هى لك.

سانشـــــو : لا يمنع!

كيشـــوت : ليس هناك أسهل من غزو جزيرة يا عزيزى.

سانشـــــو : أصدقك يا عزيزى.

كيشـــوت : خاصة إذا كان المرء يتمتع" **يشير إلى رأسه** "

سانشـــــو : حقاً! كان أبى يقول: فكرة فى اليد تشبه الريح، لكن ريحاً فى الرأس يمكنها أن تتحول إلى فكرة.

كيشوت : أبوك كان عاقلاً! إتبع نصائحه يا سانشو! عندما تستطيع بأفكارى أن تذبح العشرين أو الثلاثين ماردا وحارساً..

سانشو : نحن؟

كيشوت : أريد أن أقول " أنا ! " عموماً لا أستطيع أن أمنحك شرف القتال إلى جانبى.. لم يحدث أن خاض تابع معارك سيده.

سانشو : سيده؟!" **يومئ** " هذه هى الفروسية وإلاّ فلا. الأتباع دائماً ما يفسدون كل شىء.. لكن لو سمحت يا سيدى، عن أى تابع تتكلم؟

كيشوت : عنك يا سانشو!

سانشو : عنى؟

كيشوت : تعتقد أنى سأمنحك جزيرة حباً فى عينيك؟ كل شىء له ثمن، يا سيد سانشو، كل شىء بثمنه..

سانشو : الكارثة يا سيدى الشجاع، إنى لا أحب أن أكون تابعاً..

كيشوت : لا يهم! فأنا لا أحب أن أكون مبالغاً فى مطالبى، ويسعدنى أن يكون تابعى غير راغب فى أن يكون تابعاً.

سانشـــــــو : معذرة يا سيدى، فأنا لا يسعدنى أبداً أن أكون تابعاً.

كيشـــــــوت : هذه مشكلتك أنت! خاصة وأنك لن تخدمنى مجاناً..

سانشـــــــو : مهلاً! لم تتم الصفقة بعد..

كيشـــــــوت : الصفقة! أين قرأت أن فارساً خرج ذات مرة ليعقد صفقة.. ليست لدى فكرة لعقد صفقة على الإطلاق، يا سيد سانشـــو.. خذ " خرجك " واتبعنى!

سانشـــــــو : يا لها من فكرة مروعة! متى وأين قرأت أنى أريد أن أكون تابعاً؟

كيشـــــــوت : ليس لدى تابع، ولا يصح أن يكون هناك فارس بغير تابع. لأن الفارس بغير تابع كالحساء بغير إناء..

سانشـــــــو : يا سلام! لكن هناك آنية كثيرة أخرى تملأ الدنيا!

كيشـــــــوت : أنت الذى اخترته!

سانشـــــــو : ولماذا هذا العناد؟

كيشـــــــوت : لأنى أفكر فى المستقبل، وأنت الوحيد الذى

يملك عقل وموهبة الحاكم! " **تدخل تيريــز وهى تحمل الجردل** "

تيريـــــــــز : وجدت أمام البيت خليطاً من الوبر والحديد والعرق ومنخاراً يفرز دخاناً. يخيل إلى أنه فرس! على كل حال، أستطيع القول بأنه شرب دفعة واحدة إثنى عشر جردلاً، وأنه كان متسيباً باستمرار وهو يشرب..

كيشـــــــوت : لا تقلقى، معدة فرسى منظمة تماماً.. فهو يطرد فى اليوم التالى ما شربه فى اليوم السابق.. نعم يا سيد سانشــو.. هل أنت قادم؟

تيريـــــــــز : **"لسانشــو"** هيه! مهلاً! إلى أين؟

سانشـــــــو : أتسلم جزيرتنا يا حبى!

تيريـــــــــز : جزيرتنا!

سانشـــــــو : سلى الفارس الشجاع!

كيشـــــــوت : صح! فليظل تابعاً لى ثلاثة شهور فقط وأنا أجعل منه حاكماً.

تيريـــــــــز : ماذا؟ ويتركنى وحدى مع الأطفال العشرة؟ لا يمكن، مستحيل! لسنا فى حاجة إلى جزيرتك.. ولا داعى لوضع هذه الأفكار الجنونيــة فى رأس

رجل لا يملك الشجاعة لحرث أرضه..

سانشــــو : رأيت! زوجتى لا توافق! وبما أنها هى التى تنظم البيت

تيريـــز : من يحملك شرب جيداً، يا سيدنا الفارس.. ندعو لك بأن يتحول الحجر تحت قدميك إلى باقة من الورد.. تحياتنا لك..

كيشـــوت : طيب! ولكن لا يصح أن يتناقش فارس مع سيدة الوداع إذن.. سأمر غداً أمام المفرق القريب من هنا..

سانشــــو : شكراً أيها الفارس الشجاع.!

كيشـــوت : شكراً لك يا سيد سانشو.. لن تكون حاكماً طالما ترفض أن تكون تابعاً! لن تكون تابعاً ولا حاكماً! ولهذا سيظل العالم فارغاً، أقول لك فارغاً وسأظل وحدى.. " **دون كيشـــوت يخرج حـزيناً. سـانشـــو وتيـريـــز ينفـجـران ضاحكيـن".**

إظلام

" طوال الإظلام ضـحكات سـانشـــو وتيـريـــز تستـمر وتزداد، وتسمع ضحكات أخرى كثيرة

ومتنوعة حتى يتكون حشد غفير يملأ المساحة التى تكشف عنها الأضواء. وترى سيدة تهرول من الكواليس وقد ارتدت ملابس غريبة وكاباً أسود بلا أكمام محلى بالأحجار، وتضع على رأسها تاجاً ضخماً.مجموعة من الرجال تتبعها وهى تنفخ فى النفير وهى تضرب على الطبل. ترتدى المجموعة ملابس رثة تقف السيدة على مرتفع بينما تظل المجموعة فى المستوى الأدنى. يسلط الضوء على وجهها فتكتشف وجهاً عنيفاً ودميماً"

الرجـــــل الأول: ليس إلى هذا العلو، أيتها الساحرة، ستقعى فى السماء!" **الآخرون يضحكون ولكن بطريقة هزيلة حتى ينتهون إلى حلقة راقصة تجمع بين الملهاة والمأساة حيث يصبح الرجل وسط عبارات تلقى بطريقة ضاحكة وهم يلتفون حول المستوى العلوى الذى تقف عليه السيدة".**

الحمـــــارون: " **وهم يتبادلون العبارات** " هيه! الحمارون إختاروا مليكتهم! هيه! معطف الملكة على كتفى الحية.تحت القلب، الملكة الجديدة. هيه! بطون

الحمارين مليئة بالألم هيه! من قيظ هذه الليلة.

هيه! طريق الحمارين يوصل للجنة.

هيه! الجنة! لا أحد غير الحمار يعرف الجنة! الملكة..

- الفأر __

هيه! معطف الحية على جسد الملكة! " **الجميع يرقصون فى حلقة ويطلقون صفيراً، بينما تدخل امرأتان على المستوى الأول، جميلتان ولكنهما توحيان بأنهما من بنات الهوى**"

المرأة الأولى: هيه! هيه! يا قديس القرون!

الثانية : ليحترق العلم الذى ينتزع الرغيف من أفواهنا!

حمار : السماء تصنع ما يفرزه الليل لنا!

الأولى : " **إلى فتاة صغيرة** " انزعى القناع، انزعيه!

الثانية : إذا لم تسقط الفاكهة، سننزعها نحن!

الأولى : الفاكهة لا تزال خضراء! لن تسقط!

الثانية : وأنا أقول أنها سويت! هيا نقطفها!

الفتاة : " **تصيح** " أين أذهب؟

الأولى : تعتقدين أنك كنز! يظن الحمارة إنك جميلة ومليئة بالحرارة لأنهم سكارى. الحمارة يطلبونك! هيا! أذهبى لن تجدى فرصة فى حياتك أفضل من هذه.

الفتاة : " **تهمهم** " لا!" **تهم بالهروب فتمسك بها المرأة الثانية**".

الثانـــــية : هيه! معطف الملكة على جسد الحية! " **المرأتان تجذبان الفتاة من كتفيها** "

الأولـــــى : هاهى فاكهة عطشكم يا أعزائى!

الثانـــــية : ولا تنسوا أننا جميلات وكلنا جراءة! **المرأتان تدفعان الفتاة إلى أسفل. جموع الحمارين تندفع نحوهما وهم يصيحون"**

الحمـــارون : هيه! " **فى عمق الخشبة يظهر فجأة فى حزمة ضوئية قوية كيشـوت معتلياً جواده"**

كيشـــوت : هيه! سفلة! منحطون! أين سيدكم الذى اختاركم جنوداً له.. هل هذه " **مع صيحة كيشوت يتراجع الحمارون. دون كيشوت يلحظ الفتاة التى دفعها الرجال على الأرض فاقدة الوعى وقد نامت على ثوبها الأسود "**. هى الطريقة التى تعامل بها أميرة؟ هل تريدون إصطحابها إلى سيدكم بعد ذلك؟ لقد جئت فى الوقت المناسب " **يبدأ فى النزول من على صهوة جواده"**.

حَمـــار : فى الوقت المناسب كالطاعون.

حمـــار آخــر : من أين جاء هذا الشبح؟

حمـــار ثـــان : ربما من بخار النبيذ الذى شربناه!

حمـــــار رابـع : شبح أو لا شبح، سكينى هو الحكم.

كيشـــــــوت : كما يقول الفارس تماماً" **يتجه ناحية الحمارين وينظر إلى الفـتـاة ثم يتـوجـه بحـديثـه إلى الحـمـارين** " اصطفوا صفين إحتراماً لجلال الإحتفال! "**يصطفون على جـانبى الفـتـاة المطروحـة أرضـاً** " طأطئـوا رؤوسكم إحـتراماً للفتاة الجـميلة. ثم افعلوا كـما أقـول لكم" **الحـمـارون ينحنون ببطء**" مـدوا أيديكم تحت جسد ورأس الأمـيرة! حاذروا! بغـيـر خشونة! هيا، أيديكم منبسطة، أيديكم منبسطة." **الحمارون يمدون أيديهم مفرودة تحت جسد الفتاة** " ارفعوها ببطء كأنكم تقدمونها للسماء! هيا يا أصدقائى هيا! " **الحمارون يحملون الفتاة** " والآن سيروا ببطء فى مـوكب على طريق قـصر أمـيركم.. ببطء لكن بسـرعـة، لأن الأمـيـر ينتظركم، ولأن كل لحظة حب ضائعة تعد خطوة كبـيـرة نحو المـوت.. هـيـا أيها الجنود، هيا ولا تنسوا أن تقولوا للأمير أن الفضل فى عـودة حـبيبته فى حالة طيبة وبالأصول يرجع لدون كـيشـوت دولامانشا الفارس المحجب.. إلى الأمـام أيها الجنود! " **الحـمـارون يحـملون الفـتـاة**

ويسيرون فى خطوات بطيئة كأنهم فى موكب"
أيها القمر هل أضأت موكباً أكثر من هذا؟
الموكب من صنعى أنا، لكن هذا لا يساوى ما
ينتظره العالم من.." **الفتاتان تضحكان بحيث**
تجعلان موكب الحمارين يضج بالضحك فينظر
إليهما دون كيشوت". إن لم يكن جمالكن
يكشف عن أدبكن لاعتبرت ضحكتكن قلة
أدب

المرأة الأولى: وما هذا؟ أليس مسموحاً بالضحك؟

المرأة الثانية: الضحك دليل براءة الآنسات مثيلاتنا.

كيشوت: صحيح! تلك إجابة مقنعة.. وطالما اخترتن السعادة ربة لكن، فالمفترض إنكن نبيلات.. "

المرأتان تقتربان من دون كيشوت "

المرأة الأولى: تسمح سعادتك بأن تزن نبلنا عن قرب.

كيشوت : ماذا تريد أن تقول؟

المرأة الأولى : ألا تعلم سعادتك أن قيمة نبل السيدات تقاس بوزن أفخادهن؟

كيشوت : لا، لا أعلم أبداً هذا الموضوع.!

المرأة الأولى : ها هو شيء يجب أن تتعلمه أيها الفارس.

المـــــرأة الثانـــية : هذا الشيء وأشياء أخرى كثيرة.

المـــــــرأة الأولى: الدروس التى نعطيها تساوى ثمناً، وكل النقود التى نكسبها ننفقها على أعمالنا.

كيشـــــــــوت: أى أعمال، لو سمحت؟

المـــــرأة الثانـــيه: أعمالنا يا فارسنا! أفضل الأعمال!.

كيشـــــــــوت: تقصدين عمل الخير حتى لا تتعذب الإنسانية..

المـــــــرأة الأولى: طبعاً، ماذا إذن؟

كـيشـــــــــوت: فى هذه الحـالة أنا مـسـتـعـد لتلقى دروسكن."

يأخذانه إلى الكواليس، تنطلق فجأة همهمات امرأة وأصوات رجال"

صـــــــوت إمرأه: النجدة! لا!المـــوت أهون!

صـــــــوت رجال: إحذر! أسنانها، أسنان دب!

كيشـــــــــوت: ما هذا؟

المـــــــرأة الأولى: لا شىء يا فارس قلبى!

كيشـــــــــوت: لا شىء.. كيف؟

المـــــرأة الثانـــية: أؤكد لك، لا تهتم إلا برعايتنا الغالية.

كيشـــــــــوت: آسف يا سـيـدتى! سأعـود لتلقى الدرس فـيـمـا بعد" **يخرج فى إتجاه الصياح ورمحه فى يده "**

المـــــــرأة الأولى : حـمـارو الشـيـطان! أضـاعـوا من أيدينا صـيـد الليلة!

كيشـــــــوت : " **فى الكواليس** " سيفى ذراعى! سأقتل عشرة على الأقل فى هذه المعـركـة. " **فى الكواليس**

صيحات معركة

اظلام "

إضاءه على مستوى جانبى يبين منزل سانشو، سرير. سانشــــو وتيريــز - أثناء الليل. لمبة غاز تتواتر وتهتز".

تيريـــــــز : هيه! سيد سانشـــــــو!

سانشـــــو : هيه!

تيريـــــــز : تنام؟

سانشـــــو : نعم.. وأنت مدام سانشـــــــو؟

تيريـــــــز : مثلك!

سانشـــــو : نامى جيداً! الليل قصير" **فترة صمت** "

تيريـــــــز : سيد سانشـــــــو؟

سانشـــــو : نعم!

تيريـــــــز : ماهو الصواب فى رأيك؟ حاكم أم حاكمة؟؟

سانشـــــو : يخيل إلىَ حاكم" **فترة صمت** " وربما حاكمة. **"فترة صمت"**

تيريـــــــز : وربما حكمه" **فترة صمت"**

سانشـــــــــو : المفروض الحاكم هو الذى يختار، أم ماذا؟

تيريـــــــــز : ماذا تختار أنت؟ حكمه أم حاكمة؟

سانشـــــــــو : حاكمة تسمع أفضل" **فترة صمت** ".

تيريـــــــــز : إذن أنت تختار حاكمة؟

سانشـــــــــو : أو حكمه،" **فترة صمت** ".

تيريـــــــــز : حكمة، أليست جيدة هى الأخرى؟ تقول شيئاً.

سانشـــــــــو : ترين أن حكمه تقول شيئاً؟

تيريـــــــــز : أكثر من حاكمه!" **فترة صمت** "

سانشـــــــــو : الأحلام جنون!

تيريـــــــــز : هيه! متى تنام؟ هيا نم!

سانشـــــــــو : حفظنا الله! لننم!

تيريـــــــــز : أصبحت على خير، سيد سانشـــــــــو!

سانشـــــــــو : نامى جيداً مدام سانشـــــــــو" **صمت طويل"**

تيريـــــــــز : " **وهى تهمهم**" حاكم، حاكمة، حكمه.

إظلام

" الليل - المشهد يضيئه ضوء القمر - دون كيشـــــــــوت يدخل حاملاً الفتاة فى بالطو الملكة. يصعد بها حتى المستوى الأعلى - يضع

الفتاة على الأرضية وينحنى فوقها"

كيشـــــــــوت: باسم الفروسية أقسم على أنها لن تخاف من شىء بعد الآن. فاذا لم أكن قد قضيت على جميع الخونة، فقد أسقطت أسنانهم فى حلوقهم وكسرت ضلوعهم فى جوانبهم! هيه؟ أيتها الأميرة! أفيقى حتى تحيى انتصارى! وإن كان المفروض أن أرفض الثناء على حسب تقاليد الفروسية.. ولكن كيف أرفض الثناء إن لم أجد من يحيينى أصلاً؟ السماء تستجيب! ها هى روحك تعود! روحك تعود!

الفتـــــــــاة : آه! لا!

كيشـــــــــوت : روحك! روحك!

الفتـــــــــاة : لا! لا!

كيشـــــــــوت : " **جانباً** " ما هذا، مربيتها لم تعلمها غير لغة العرس هذه؟" **للفتاة** " قلت لك لا داعى للخوف ولا داعى للشكوك.

الفتـــــــــاة : من أنت؟ من.. أنت؟

كيشـــــــــوت : السؤال الأول: أنا الفارس دون كيشـــوت، من أخذ عهداً على نفسه أن يتصدى لكل خطأ وأن يجعل من العدالة شيئاً مفيداً.. وأعتقد أن هذا ما فعلته

معك بالضبط.. فقط قولى من هو هذا الغادر؟ إسم هذا الوغد لو سمحت

الفتـــــــاة : أي وغد؟

كيشـــــــوت : من أمر باختطافك! الكافر الذى يتبعه هؤلاء الجنود.

الفتـــــــاة : أي جنود؟

كيشـــــــوت : المتوحشون الذين تصديت لهم الآن.

الفتـــــــاة : لا أشك فى أنك تتكلم عن الحمارة.

كيشـــــــوت : أي حمارة؟

الفتـــــــاة : السكارى الذين كانوا يريدون..

كيشـــــــوت : هؤلاء السكارى، إنهم جنود.

الفتـــــــاة : أبداً، إنهم حمارة.. أنا أعرفهم جيداً.. يجيئون كل ليلة يشربون فى الحانة التى أعمل بها.

كيشـــــــوت : مسكينة! الصدمة أخذت بعقلك، فلتنسى هذه الحكاية، سأعيدك حالاً إلى والدك..

الفتـــــــاة : أي والد؟

كيشـــــــوت : والدك!

الفتـــــــاة : ليس لى أب.

كيشـــــــوت : فهمت! بعد أن مات بنبل عند مفرق الطرق، منحك شرف اليتم!

الفتـــــاة : أبى كان سائقاً مات من الحزن أمام بئر جافة وهو عاطش.

كـيـشــــوت : عظيم، عظيم، دعك من هذه الحكاية. أين قصرك إذن يا أميرة؟

الفتـــــاة : ماذا تسمينى؟

كيشـــــوت : لا تقولى أيضاً أنك لست أميرة!

الفتـــــاة : إلا إذا كان هذا يضايقك.

كيشـــــوت : لا أحب أيضاً أن أسمع عكس ما ترى عيناى.

الفتـــــاة : وماذا ترى عيناك؟

كيشـــــوت : على الأقل هذا المعطف المرصع.

الفتـــــاة : إنه معطف اشتراه الحمارة من ممثلين جوالين.. كل عام فى نفس الموعد يختارون فتاة يضعون عليها المعطف وينصبونها ملكة عليهم.

كيشـــــوت: يا إلهى! كل هذه الحكايات يمكن أن يخترعها عقل مشوش إلى هذا الحد.

الفتـــــاة : إسمى ماريتورن وأعمل خادمة يا سيدى.

كيشـــــوت : عظيم! فى أى قصر؟

الفتـــــاة : فى هذه الحانة" **تشير إلى عمق المسرح**"

كيشـــــوت : عظيم! إذا كان يعجبك أن تسمى القصر هكذا.

الفتـــــــــاة : أنا عذراء يا سيدى.

كيشـــــــوت : وأنا لا أشك فى ذلك مطلقاً.

الفتـــــــــاة : المشكلة ليست فى شكك.

كيشـــــــوت : إذن!

الفتـــــــــاة : خادمة فى مكان مثل هذا يغرى الناس بالتفكير فى أشياء كثيرة. لكنى أحمى فضيلتى بهيئتى القذرة.. ومع هذا كان الحمارة سكارى لدرجة أنهم كانوا..

كيشـــــــوت : كفى! ولا كلمة، أرجوك! الهذيان له حدود! لن أدعك تقاومى الطبيعة التى منحتك أفضل ما عندك من فن.. تقولين هيئة قذرة فى الوقت الذى يتمتع فيه وجهك بنقاء الصباح وبريق ضوء الشمس. تقولين هيئة قذرة " **يغضب**" كأن هذا الجمال ليس بك ولك! بأى حق تسبين الخالق الذى خلقه والذى عليك أن تردى له الجميل فى يوم من الأيام؟

الفتـــــــــاة : ليس من العدل أن تسخر من فتاة مسكينة مثلى!

كيشـــــــوت : أنت، أنت التى أسخر منها، تبحثين عن الطريقة التى تثبتين بها أنى أعمى!

الفتـــــــــاة : هيه أنت هكذا يا سيدى..سل الجميع يقولون لك من أنا..

كيشـــــــوت : ولهذا أنا ضد الجميع، فى كل شىء.. أنت جميلة رغم كل شىء، رغم أنف الجميع، دونا ماريتورن

الفتـــــــــاة : دونا؟ ها أنت تسمينى دونا أيضاً!

كيشـــــــوت : دونا رغم أنف الجميع. **"ماريتورن تدير وجهها ناحية الضوء الذى يبين هامتها وهيئتها القذرة "**

الفتـــــــــاة : لكن، انظر إلىَّ! تمعن فى جيداً قبل أن يدير القمر وجهه.

كيشـــــــوت : إنى أتمعن فيك دونا ماريتورن!" **يقف أمامها ويحجبها عن الجمهور** ".أنظر إليك وعيناى يملؤهما النور" **يربت على وجهها بأطراف أصابعه** " أحلى فاكهة، أجمل من تفاحة الخطيئة، أشبه بالحلم دولسينا! الطاعة لك، دعينى أشرح لك قبل أن يرحل القمر." **يبتعد عنها. تسلط الأضواء من جديد على وجه الفتاة الظاهر للجمهور. وتبدو فجأة وقد تغيرت إلى جمال رائع. فقد خلع عنها قناع الدمامة. إنه فى الحقيقة ذلك الوجه النبيل للفلاحة التى كان دون**

كيشوت قد اختارها فى البداية لتكون دولسينا.

نفس الممثلة تلعب دور الفتاة فتضع القناع".

كيشـــــوت : مازلت تقولين أنك دميمة؟

الفتـــــاة : القمر لم يكن أبداً مرآة يا سيدى!

كيشـــــوت : انظرى إلى عينى" **تمعن النظر فى عينيه** " ماذا تقولين؟

الفتـــــاة : أنا كما تحب!

كيشـــــوت : أخيراً عاد إليك صوابك! "**يعود إلى الخلف وهو يصيح**" إيه أيها الحارس.. أخفض الجسر.. الفارس دون كيشـــوت يعيد إلى القصر دونا ماريتورن.

" **صـــوت الجسر يهبط. صـــوت النفير. إنتشار الأضواء لتفرش المسرح كله.. الثريات تهبط من سقف المسرح. كرسى عرش ضخم مرصع بالأحجار الكريمة ينزل على المستوى العلوى الرئيسى.. على ناحية مجموعة من النساء ترتدى ملابس أبهه وشعورهن محناة. على الناحية الأخرى مجموعة من الأمراء.. على المرتفع صاحب الجلالة وإلى جانبه زوجته.. كل هذا الحشد رجال يرتدون أزياء غريبة وقمصان طويلة بيضاء مزركشة.. ومع**

هذا فالملابس لا تحدد عصراً معيناً.. المشهد فى مجموعه يوحى باللاواقعية وإنما يوحى بالحلم، دون كيشوت يمسك يد الفتاة وهو على المستوى الأعلى دائما. الجواد يظل فى العمق فى نفس المكان الذى كان فيه دون كيشوت قبل أن يهبط إلى الحمارين، صاحب الجلالة يقف يتجه ناحية دون كيشوت وينفجر ضاحكاً"

كيشوت: مولانا صاحب القصر، لك أن تسعد، ها هى سليمة، بكر

صاحب الحانة: لك الشكر سيدنا الفارس.. ألف شكر، إنها أفضل غسالة قدر.. كنت سأضيق لو..

كيشوت : سأفترض أنكم تسمون حبات الذهب الخالص بهذه التسمية فى قصركم.

صاحب الحانة: ماذا.. نعم.. نعم.. بالضبط.. صحيح، قدرة، ذهب، نفس الشيء، غسالة، حبات هى هى.. لا فرق.. إلى القدر يا ماريتورن.." **الفتاة تخفض رأسها تسارع بالخروج"**

كيشوت : لحظة ! لا أحب يا مولاى أن أتعدى بأحكامى على القصر قصركم.. لكن إذا كنتم تخاطبون

الأميرات بهذه الطريقة فكيف إذن تخاطبون الخدم؟

الزوجـــــــة : هيه! أيها الفارس، ماريتورن خا..

صاحب الحـــانة : اهدئى يا سيدتى! أنا الذى يوضح الأمور هنا!

كـيشـــــوت : كل شىء واضح يا مولاى الفارس، كل شىء واضح! الرقة دائماً هشة، وكلمة واحدة قاسية يمكن أن تحطمها. أرجوك تحدث إلى دونا ماريتورن بالرقة التى تستحقها رقتها الهشة

صاحب الحـــانة : هكذا! أنت تحلم أم ماذا؟ ألا ترى أنها..

كـيشـــــوت : " **غاضباً** " أرى كل شىء ولا أحلم بشىء ولا أحب لكى أثبت أن عينى مفتوحتان أن يجبرنى أحد على التحسيس فى مكان أعرفه جيداً" **يمد رمحه إلى الأمام** "

صاحب الحـــانة : هيه! إحذر أيها النزيل! لا يهمنا هذا، لكن هذا يغضبنا

كيشـــــوت : من هذا يا مولاى صاحب القصر، أتسمح لصغار الحاشية أن يعتبروك صاحب حانة..

صاحب الحـــانة : عزيزى الفارس، لكى أحدثك عن كل شىء..

كـيشـــــوت : لا تقل شيئاً، أى شىء، لا يمكن أن أسمح

بإهانة ملك! واجبك يا مولاى أن تبعد هذا..

صاحب الحانة : أوه يا لها من مصيبة! لم أشعر مطلقاً أنى أهنت.

كيشوت : مطلقاً! يا لها من مصيبة! كارثة وقعت على كل الفرسان وعار علينا جميعاً.. من الخير لك يا مولاى أن تعاقب هذا الوغد بما يستحقه وإلا نازلتك فى معركة وجهاً لوجه.

صاحب الحانة : لكن لست أكثر من صاحب حانة يا سيدى!

كيشوت : يا للبؤس والشقاء.. تتخفى وراء لعبة خوفاً منه أم من.. أتقول صاحب حانة؟ صاحب حانة؟" **دون كيشوت يندفع نحو صاحب الحانة رافعاً رمحه "**

صاحب الحانة : لا! أرجوك لا! لست صاحب حانة، أنا ملك! أعتقد أنك ترى جيداً أنى ملك.

كيشوت : ملك، يا مولاى؟

صاحب الحانة : ملك!

كيشوت : عظيم! حافظ على شرفك إمح عار إهانتك!

صاحب الحانة : لكن..

كيشوت : أترفض؟

صاحب الحـــــانة : كلا. أيها الفارس، كلا! فى الحال.." **يتخلص من رمح دون كـيـشـــــــــوت ويخـرج يديه مرفوعتين وهو يتجه نحو السيد الذى أسماه صاحب حانة وهو يقول له**" كافر، زنديق، سفاح، خائن، قذر، نذل..

سيـــــد آخـــــر : هيه، مهلاً! أنا معه!

ثالـــــــــث : وأنا أيضاً.

رابـــــــــع : هيا بنا أيها الرجال! " **الرجال يكونون حلقة وسطها يقع صاحـــب الحـانة بين ضرباتهم ولكماتهم. بينما تتزايد صيحات النساء**"

الزوجــــــــــة :" **لدون كيشـــــــوت** " النجدة أيها افارس! النجدة!

كيشـــــــــوت : إذا تدخلت معنى هذا إنى أسرق انتصار زوجك يا سيدتى

الزوجــــــــــة : سيقتلونه!

كـيـشـــــــــوت : إذا كانت شجاعـة عاهلك سـتجعلك أرملة، فسوف ترثين شهرته وتكسبين ميراث البطل.

الزوجــــــــــة : " **بلهفة**" سأرث، وأكسب! تقول انى سأرث وأكسب؟

أحد السـادة : علك تتعلمين يا غسالة القدر! " **كل السادة يخرجون بلا نظام، يتركون صاحب الحانة ملقى على الأرض وهو ممسك بساقيه".**

صاحب الحانة : أي! آه أي.

الزوجة : " **مصدومة** " لم أصبح أرملة!

كيشوت : ليس شرطاً من المرة الأولى" **صاحب الحانة**" شكراً لله،يا لها من معركة! أؤكد لك أنه لم يكن بمقدوري أن أفعل أكثر مما فعلت.

الزوجة : قل لي يا حبيبى بماذا تحس؟

صاحب الحانة : حبيبتى، زوجتى، صدقينى، شيء يجن أن يضرب الإنسان بغير سبب. أحس أنا صاحب الحانة أنى أتألم! أي! أتعذب كأى صاحب حانة.

كيشوت : وهذا يؤكد أن البشر إخوة فى الألم.. وأن لنا الحق فى أن نحارب من أجل الحق..

" **صاحب الحانة ينهض بألم فيلحظ الفتاة التى كانت تنظر إلى المشهد دون حراك".**

صاحب الحانة : دونا ماريتورن.. دونا! لا أملك القوة حتى لكى أضحك! لا القوة ولا المزاج.. وهذا يعنى أن لا شيء يضحك! دونا ماريتورن!

الفتــــــــاة : " **تومئ برأسها** " مولاى، **صاحــب الحـانة!**

صاحب الحــــانة : أرجوك، إعنى بعملك وأعدى شريحة من السمك لكى نقدمها للزبون.

كيشــــــــوت : سيدى، الجوع ليس من عادة الفرسان الشجعان.

صاحب الحــــانة : هيه! كما تحب! يكفى الزبائن التى هربت منى اليوم.

الزوجـــــــــة : يريد أن يقول المدعوون يا

كيشــــــــوت : لا تندم عليهم! إنهم حفنة من السفهاء!

صاحب الحــــانة : حقاً، لكنهم كانوا يدفعون!

الزوجـــــــــة : أوف! دائماً تتكلم كأنك تاجر!

صاحب الحــــانة : نعم، مدام، إذن كيف يعيش أصحاب الحانات، لو سمحت؟

كيشــــــــوت : لا أفهم عن أى تجارة تتكلمون، لكن الأمر إذن يتعلق بنقود..

صاحب الحــــانة : ألا تحمل نقوداً أيها الفارس؟

كيشــــــــوت : أحمل العدو الذى أحاربه؟ قضيتى هى شن الحرب على المال والجشع، ولدىَ فى رأسى ألف طريقة أثبت بها أننا لا نعيش على الأرض إلا بالفاكهة وفى المساء بالذهب وفى الينابيع بالماء!

القصور مجرد حجارة كالمجوهرات تماماً! قدما الإنسان هما هما سواء وضعتا فى خشب أو فى ذهب! كل شىء من الأرض يسير عليها. الأقدام العارية تسير على كنوز أكثر لأنها تسرير أكثر! والذى يسير على كنوز أكثر وأكثر هو الفارس لأنه لا يتوقف عن السير أبداً! أرأيت كم أنا ثرى رغم أنى لا أملك مليماً واحداً.." **صاحب الحانة يظل جامداً. الفتاة تتجه ببطء ناحية الكواليس"**

صاحب الحانة : إلى أين دونا ماريتورن؟

الفتاة : أعد السمك سيدى صاحب الحانة.

صاحب الحانة : لا داعى! السنيور الفارس لا يشعر بالجوع!

كيشوت : إلا إذا صممت، فلا مانع من كمية عصافير محشوة، وفخذ خروف أو ديك رومى. أما الشراب فممكن زجاجة نبيذ معتق.

الزوجة : كأنك تعرف ما عندنا بالضبط.

صاحب الحانة : " **لزوجته بصوت منخفض** " ماذا يا صاحبة الحانة، هل جننت؟ إنه لا يملك مليماً.

الزوجة : ما دام يقول أن النقود لا تهم، إذن سنربح كثيراً.

صاحـــب الحـــانة : " **وقد حدث له تحول** " هذا ما كنت أحلم به طوال عـمرى. وجاء الوقت الذى يجب أن يتغير فيه كل شيء إذا كـان الأمـر كـذلك قـدمـوا كل شئ حتى نصبح أثرياء..

الزوجـــــــــــة : هاأنت قد استيقظت مؤخراً.

صاحـــب الحـــانة : ادعـوا كل الآنسـات الفـاضـلات لإعداد وليـمـة السيـد الفـارس بأسرع وقت.." **السيـدات المتحشمات يسرعن. الفتاة تتبعهن ولكن صاحب الحانة يوقفها** " لا، أنت لا دونا ماريتورن.. سامحنى الله إذا كنت قد جعلت يديك تلمسان المطبخ.. إنهما لا تصلحان إلا لصب النبيذ فى كأس السيد.. "**عند هذه الكلمات تتوقف السيدات وهن يشاهدن صاحب الحانة ينحنى للفتاة. الفتاة تخرج بعظمة وهى تمر أمام السيدات اللاتى ينحنين تماماً لها**".

" **السيدات يخرجن ويختفين.. موسيقى سماوية تصدح - خلال هذا المشهد السيدات يدخلن مائدة من الذهب عليها غطاء ذهب، صاحـــب**

الحانة يقترب من دون كيشوت بحذر".

صاحب الحانة : هيه.. فارسنا الهمام!

كيشوت : سيدى صاحب القصر؟

صاحب الحانة : قل لى.. هيه، هيه! فيما بيننا، عيناك فى عينى، هذا المكان الملكى ألا يشبه الحانة. ؟

كيشوت : حانة؟ ما هذا! كيف يدير صاحب القصر إحدى الحانات؟

صاحب الحانة : هذا ما يبلبل أفكارى.. لدى إحساس بأنى لا يمكن أن أكون صاحب قصر كما تقول.

كيشوت : كيف هذا؟ رغم نبل نظراتك وعظمة تصرفاتك؟" **صاحب الحانة يتنبه** " وتواضع نادر يا سيدى صاحب القصر!

صاحب الحانة : صحيح! أنا متواضع.. نبل نظراتى وعظمة تصرفاتى.. آه يا سيدى الفارس! أول مرة فى حياتى أحس بسمو! كم يحس المرء أنه صغير مع الصغار.. سأطير فرحاً، كم أرغب فى فرصة تتيح لى أن ألعب دوراً هاماً!

كيشوت : هذا ما كنت أريد أن أسأل عنه سموك.

صاحب الحانة : كيف؟

كيشـــــــــوت : يجب أن أعترف لك بأنى لا أقتنع حتى الآن بروح الفــارس التى أسـتـحـقـهـا.. لأنه قـبل أن يسـتـدعـينى القـدر فى أى مكان لا بد وأن يباركنى سيف نبيل.

صاحـب الحـانة : تريد أن أباركك أيها الفارس؟

كـيشــــــــوت : أؤكـد لك أن ألف فـارس على الأقل باركـهم سيفك.. أم ترانى مخطئاً؟

صاحـب الحـانة : كلا.. صحيح كما تقول تماماً! وإلا ما حدث كما أنا الآن.. وإذا لم أكن كـمـا أنا الآن مـا كنت لأكون بهذا النبل" **دون كيشـــــــوت يجثو تحت قدميه** " فـارس يجثو تحت قدمى! أنا إذن هو أنا!

كيشــــــــوت : أرجو من سعادتك أن تمنحنى غداً فى الصباح لقب فارس.

صاحـب الحـانة : سيحدث يا فارسنا، سيحدث!

كيشــــــــوت : لكن لا أرى محراب القصر!

صاحـب الحـانة : محراب!

كيشــــــــوت : الذى أدخل فيه حتى يباركنى سيفك.

صاحـب الحـانة : طيب! من يستطيع أن يجد قصراً، لا بد أن يجد

محرابه" **المائدة أعدت تماماً. النساء يلتففن حولها في نصف دائرة"**

الزوجــــــة : سامحنا فخامتك.

كيشـــــوت : " **يعود ليتجه نحو المائدة. صـوت جواده يهمهم** " آه!

الزوجــــــة : ماذا هناك يا فارسنا؟

كيشـــــوت : جوادي يريد أن يأكل معي!

إظلام

" إضـــاءة على رجل يجلس في فناء على ربوة تتدلى أقواس فوقها خيوط مختلفة. الرجل يرتدي أحمر. أجنحتـه حمراء عديدة خلف ظهره تخفي ذراعيـه. يرتدي حذاء بوت أحمـر ينتـهي بثـلاثة أصابع لعصافير صيد. قبعته كبيرة حمراء وريش أحمر يغطيها. وجهه منقار أحمر كبير. يتأرجح وهو يغني ويعزف على جيتار".

الرجــل النســر : " **يغني**" رفـقاء السـلاح يا رفـقاء السـلاح! هل حـصلتم على حـاجـتكم؟ أنيـاب الدببـة وحـوافـر الذئاب؟ والسم تحت اللسـان!وقسـوة في العـيـون! وكـراهيـة تحت الجلد! رفـقـاء السـلاح يا رفـقـاء

السلاح! هل حصلتم على حاجتكم؟ منقار نسر وقرون الثور؟ القدر الذى لا يعرف الرحمة!الرأس المتحجر والقدم القاسية؟ والقلب الجاف الذى لا يصفح!رفقاء السلاح يا رفقاء السلاح! إذا كنتم قد حصلتم على كل هذا..فالحصول على العالم يصبح سهلاً! لكن حاذروا، حاذروا!فلن يبقى لكم بغير هذا كله غير عين واحدة تبكون بها وحبل قوى تشنقون به!" **فى الأمام بروجيكتور يضىء جسم دون كيشوت وهو راكع. على رأسه دجاجة وأخرى على كتفه. رمحه مائل مواجهة براتيكابل كأنه ربوة".**

كيشوت : ويضيع الوقت على هذا النحو! الشجاعة يخنقها الخوف، الفساد والرشوة يأكلان خيرات الأرض.

الرجل النسر : " **بصوت أجش** " هيه! أيها المتدرع، ماذا بك

كيشوت : " **يدير وجهه ناحية المتحدث وهو ثابت بلا حراك**" ما هذا ويتكلم أيضاً؟

الرجل النسر: يتكلم! ويغنى ويصيح ويتحرك ويطير ويضرب ويأكل ويشرب ويتنفس ويقفز ويتعجب! يحيا.!

كيشـــــوت : عفريت الليل! من هذا الغريب الذى يحاول أن يزعج خيالى؟

الرجــل النســـر: أنا النسر العالمى! ولهذا أمنعك من السخط على العالم.

كيشـــــوت : لم أقرأ فى حياتى أن نسراً يدافع عن العالم.

الرجــل النســـر : أمر نادر فى الحقيقة.

كيشـــــوت : ماذا تريد أن تقول؟

الرجــل النســـر : لقد ولدت هنا!

كيشـــــوت : وسط الدجاج

الرجــل النســـر : من بيضة دجاجة.. نعم بحق! أنجبت من ديك، وبهذا لم أعد نسراً؟

كيشـــــوت : إذا كانت أذناى تخدعانى فالأفضل أن أبقى أصم!

الرجــل النســـر : لقد سمعت جيداً أيها الفارس.

كيشـــــوت : كيف يا إلهى يستطيع ديك أن ينجب نسراً؟

الرجــل النســـر : وفى بعض الأحوال تكون دجاجة.. **" الرجــل النســـر يضحك ضحكة تشبه وكوكة الفرخة. هذه الضحكة تتبعها وكوكة عالية متشابهة كما لو كانت حظيرة بأكملها تكاكى ضاحكة"**.

كـيـشـــــــوت : من ذا الذى يستطيع أن يسخر منى بهذا الشكل؟" **يجـرد حسـامـه** " اللعنة على كل من يزعج الفارس، حتى يجرد حسامه.. لتظهروا لتظهروا" **إضاءة على شمعدان ضخم من الفضة. على الشمعدان رجل مزروع مكان إحدى الثريات وقد مد عوده وهو يرتدى ثياباً بيضاء ووضع على رأسه شكل ذنب أبيض".**

الرجـــل الذئـــب : أطلب مساعدتى حتى ترى أيها الفارس!

كيشــــــوت : من أنت!

الرجـــل الذئـــب : أنا شعلتك.

الرجــل النســـر : " **ضاحكاً** " آه، ها ها! أنظر إلى أى مدى ينير؟!

كيشــــــوت : بعيد جداً يا سيد نسر.. بعيد جداً لدرجة أنى أرى بوضوح أعماق أعماقى..

الرجــل النســـر : وماذا ترى إذن؟

الرجـــل الذئـــب : لا تجبه أيها الفارس هذا سرك وحدك.

الرجــل النســـر : ماذا ترى! أتحداك أن تجيب! وأصر على طلبى..

كيشــــــوت : بأى حق؟

الرجــل النســـر : رمز مقدس فوق العروش، مطعم بمخ الأقوياء، مثل أحد أسلافى، بحق برومسيوس، فى أمعائى

الذكاء، وفيها أسرار الدولة، العظمة والبلاهة فيها قسوة جنس الملوك المتوجين، الأحياء منهم والأموات، الأموات هل تفهم أيها الفارس! من حق منقارى أن يدق حتى على جثثهم! أنا إذن النسر الحاكم! الموجود وجود السلاح ويقظته، المراقب الأمين والحارس الأمين، المتربص!

كيشوت: ثم ماذا ؟

الرجل النسر: رأسى هو خلاصى! أجب أيها الفارس ماذا ترى بداخلك؟

الرجل الذئب : إحتفظ بسرك أيها الفارس، هذه أفضل طريقة لمقاومة هذا المنقار ...

الرجل النسر: لكننا لسنا بأعداء " **شعاع ضوء مركز ينير أحد البراتيكابلات، خيال امرأة لفت جسدها بعباءة داكنة كظل ثابتة تماماً. ذراعاها بطول جسدها. رأسها ووجهها مغطيان بطرحة سميكة تجعلهما لا يُريان. النسر يشد أوتار جيتاره".**

المرأة : مشيت أيها الفارس ولك لونى. مشيت فى الطرق الملتوية وحدك، وأنت تبحث عن الأمانى الواهية. تحمل ألوانى وألوانى ثقيلة ثقل العدالة!

ثقل الحرية! ثقل الحياة! لن تعود إلى إلا ومعك ثمرة انتصارك وإلا فلا تعد.

كيشوت : " **مذهولاً** " هل جئت.. أنت هنا! سيدة جرأتى وتهورى! لا تخش شيئاً.. ألوانك خفيفة فوق قلبى.. أحملها فى داخل قلبى. وفى يدى بين أصابعى.." **النسر يضحك ساخراً، دون كيشوت يستدير نحوه ويصيح** " من ذا الذى يسخر منى؟" **يتحدث إلى المرأة** " إذا كانت عيناك مثل البلور يمكنك أن ترى ما بأعماقى..

الرجل النسر : ماذا سترى بداخلها ؟

الرجل الذئب : لا تقل شيئاً أيها الفارس.

المرأة : ماذا ترى بداخلك، أرجوك.

الرجل الذئب : لا تقل وإلا افترسك منقاره!

كيشوت : كيف لا أقول لمن أتنفس من أجلها" **غاضباً**" مستحيل!" **للمرأة**" ما أراه فى أعماقى يا دولسينا، قدر باهر اسمه..

الرجل النسر : " **وهو يصر أسنانه**" اليقين.

كيشوت : نعم اليقين.. ومن هذا اليقين ستتدفق..

الرجـــل النســـــر : مملكة!

كيشـــــــــوت : " **مستغرباً**" المملكة التى سأسلمك مفاتيحها قريباً!
ستـتـربعـين على العرش إلى جوارى فـوق أرض
فيها الكفاية والعدل.. وستسمين هذه المملكة..

الرجـــل النســـــر : السلام.

كيشـــــــــوت : " **وقد أرتفع جسده إلى أعلى**" السلام.. لأنى
سأكون قد فعلت كل شىء من أجل خير الجميع.
لا حرب ولا بؤس ولا غضب ولا دموع ولا حزن..
لدرجة أن أيدى الأعداء سوف تتشابك فى..

الرجـــل النســـــر : إخاء!

كيشـــــــــوت : فى إخاء..

الرجـــل النســـــر : " **يلقى بحديثه كما لو كان درساً محفوظاً وهو
يصر أسنانه** " الإنسان للإنسان الحمل بالقرب من
الذئب، الحـمـامـة فـوق جناح النسـر، الماء والنار،
العملاق والقزم، الليل والنهار، الثعبان والكعب،
الفـقـيـر والغنى، الضـعـيف والقـوى.. الوحـدة
الكبرى التى تسمى الحب! الحب! الحب!

كيشـــــــــوت : السلام! من الذى وضع فى منقارك هذه الكلمة
الرائعة؟

الرجـــل النســـر : " **يطلق صيحة عصفور**" كريياه! كريياه! بيس! بيس!

الرجـــل الذئـــب : لقـد حـذرتك أيهـا الفـارس.. " **ضـوء على مجموعة من البشر هياكل عظمية، الوجوه مغطاة بقناع أخضر. وقد ارتدوا خرقة مختلفة الألوان. وتاج على رءوســهم وصــولجــان مكســور فى أيديهم**".

الشيـــــــــوخ : وأسمى مملكتى السلام.. لأنى سأكون قد فعلت كل شىء من أجل خير الجميع لا حرب ولا بؤس ولا غضب ولا دموع ولا أحزان..

الرجـــل النســـر : طموح!

كيشـــــــوت : من أى عفن خرجتم أيها الشيـــــــــوخ؟

الشيـــــــــوخ : من المكان الذى أنت ذاهب إليه!

كيشـــــــوت : من أنتم؟

الشيـــــــــوخ : إمبـراطور العـالم! لدرجـة أن أيدى الأعـداء ستنتشلك.

كيشـــــــوت : كفى!" **النسر يضحك**".

الرجـــل الذئـــب : لم يحافظوا على السر.. قالوا كل ما بداخلهم.. قالوا.

الشيــــــوخ : الإنسان للإنسان، الحمل بالقرب من الذئب، الحمامة فوق جناح النسر.

الرجــل الذئــب : باحوا بالسر، ذلك النور الخاص بهم تعرضوا لمنقار النسر.. حكموا المملكة.

الرجــل النســر : كريياه! كريياه! بيس! بيس!

كيشــــوت : هل هم بشر؟

الرجــل النســر : كلا! أباطرة!

كيشــــوت : وأنا، سأحكم كانسان؟

الشيــــــوخ : وأنا سأحكم كانسان؟

الرجــل النســر : حكموا!

كيشــــوت : أفسدتهم!

الشيــــــوخ : العروش يجب أن تكون أقل ارتفاعاً!

الرجــل النســر : فى أسفل. يملأ الرأس بالأفكار.. فى أعلى: يملأ الرأس بالدوامات..

كيشــــوت : سأصمم عرشاً بارتفاع الإنسان، فإذا طلب الناس منى العدل لا يجبر أحد على النظر إلى أعلى أو إلى أسفل.. ينظر إلى العين فى العين..

الشيــــــوخ : العين فى العين.. سأكون إمبراطور العادلين..

وسيكون السلام لمن يتمتعون بإرادة قوية..

كيشـــــــوت : " **يتوجه ناحية الكورس** " تراجعوا! تراجعوا بإسم أفكارى يا دود الأرض! تراجـعـوا يا أعـداء معاركى!

الرجـل النســر : كريياه! كريياه! بيس! بيس!" **العصافير تصوصو بطريقـة مـفـتـرسـة. الظلام يكسـو كـورس الشيـــــوخ والنسر والذئب يظل بروجكتور واحداً مسلطاً على كـيـشـــــوت وعلى المــــــرأة الصامتة".**

كيشــــــوت : سيدتى! هل رأيت كيف خرجت منتصراً من المعـركـة التى قـمت بهـا أمـامك ضـد هؤلاء الوحوش.. لقد جئت لتحمينى من كل ضعف وهذا يكفى لكى أثق فى نفسى وفى كل انتصاراتى.. لقد جئت لأنك تثقين فى يقظتى وهذا يكفى لكى أظل يقظاً.. لقد جئت لأنك تثقين فى حقيقتى وهذا يكفى لكى أحافظ على الحق.. لقد جئت لأنك تثقين فيما أثق أنا فيه، وهذا يكفى لكى أتأكد من كل شىء كما أعرفه.

المــــــرأة : أنا بعيدة عن كل هذا يا فارسى!

كيشـــــوت : بالعكس أنت قريبة جداً. أقرب من أصابعى إلى يدى..

المـــــرأة : أنا فى نهاية طريقك!

كيشـــــوت : لماذا يا سر وجودى، لماذا هذه اللعبة القاسية؟ لماذا تضعين قلبى فى شك حتى فى سلاحه.. لقد جئت يا دولسينا! وهذه حقيقة!

المـــــرأة : لم آت بعد!

كيشـــــوت : أنت هنا.. ولا يوجد شيطان واحد يستطيع أنْ يقنعنى بأنى لا أراك أمـــامى. إذا لمست يدك سأحس بحرارتك. إذا رفعت جزءاً من ثوبك سأرى جزءاً من وجهك.." **يتجه ناحية السلويت** ".

المـــــرأة : فكر.

كيشـــــوت : " **يتوقف، يتردد ، ثم يقرر** " أنت نبع وأنا أموت عطشاً!" **بحركة مفاجئة ينزع الطرحة ويطلق صرخة فقد إكتشف أن خلف الطرحة لايوجد رأس** ".

إظلام

" **بروجـــيكتـــور على البـــراتيكابل الأعلى. يرى صـاحـــب الحـــانة مرتدياً ثيـاب النوم وقـد وضع بونيه على رأسه**".

صاحب الحانة : نبل نظراتي، عظمة قامتي! طلع النهار. هذا النهار سيكون أول أيام ملكي.. ليس معنى هذا أنى لم أكن ملكاً منذ زمن طويل، لكن من طول الزمن لم أعد متذكراً.. أنام وأستيقظ وتستيقظ على عظمتى وتتفرس نظراتى فى القصر الذى كنت أظن أنه حانة.. " **وهو يهبط من مستوى إلى آخر ينتشر ضوء النهار رويداً حتى يفرش المسرح كله. ينظر حوله وإيماءاته التمثيلية تنطبع بحسب اختياره للديكور، وأما النجف المذهب الذى يتدلى بالأقواس يتبدل بحوامل شمعدانات من الحديد والكسرولات. المائدة الذهبية تتحول إلى مائدة خشبية، ويتحول العرش إلى مقعد خشبى. والديكور فى عمومه يعود إلى حالته كحانة من الدرجة الدنيا**". هيه! هيه! هو! زوجتى.. يا زوجتى

الزوجة :" **تدخل مهرولة** " ماذا تريد يا سيدى وسنيورى؟

صاحب الحانة : أى سيد.. آه.. سيد.. وكيف أستطيع أن أثبت لك ذلك. ولكى نبدأ اسحبى كلمة سنيور وقولى

مولاى!

الزوجـــــــة : نعم، أى شيطان أعطاك هذه القوة؟

صـاحـــب الحــانة: " **يشـيـر إلى ديكور المكان** " ألا يظهـر كل هذا شيئاً؟

الزوجـــــــة : هذا، هذا، هذا قصرنا.

صـاحـــب الحــانـــة: كفى أحلاماً يا صاحبة الحانة! كفى أحلاماً! الأحلام تكلف غالياً.. جداً." **ينادى** " ماريتورن! ماريتورن! ماريتورن! " **تدخل الفتـاه وهي ترتدي ثيابا مهلهلة وقد وضعت قناع الدمامه** "

الفتـــــــــاة : ما هذه الطريقة التى توقظون بها أميرة؟ أنسيتوا أنى دونا ماريتورن؟

صـاحـــب الحــانة : دونا قـدره! دونا قـردة! دونا قلة، دونا قـربة! دونا.. أنظرى إلى المـرأة دونا مـاريتـورن انظرى. " **يمسك بكسارولة من النحاس كانت أمامه على المائدة ويضعـهـا أمـام وجـهـهـا. تنظر مـاريتـورن بامعان فى الكسارولة**".

الفتـــــــــاة : لا يمكن! مستحيل! النهار كاذب! النهار كاذب!

الزوجـــــــة : " **لزوجها** " يا للكارثة ستفسد كل شىء!

صاحب الحانة : ستفسد كل شيء! لم يكن هناك شيء ليفسد.. الحانة هي الحانة هذا الجسم الصغير، لكنه الحقيقة، الحقيقة الوحيدة، أتفهمين؟ " **جلبة وضوضاء وصياح في الكواليس. بعد ذلك بقليل يدخل دون كيشوت يجرجره الحمارون الذين ينهالون عليه ضرباً بالعصا خصوصاً على مؤخرته**" .

الحمارون : " **وهم يضربون دون كيشوت** " هذه من أجل الأميرة ماريتورن! وهذه من أجل ضلوعي الممزقة! وهذه من أجل أسناني المحطمة! وهذه من أجل سراويلي الممزقة! وهذه من أجل كرامتي المهدرة! وهذه من أجل عصاتي المكسرة!

كيشوت : " **يتوجه ناحية صاحب الحانة وقد جثا تحت قدميه** " سيدي، مولاي، اسمح لي أنشهم كما الذباب!

صاحب الحانة : هيه! هيه! يخيل إليّ أيها الفارس أن هؤلاء الأمراء الصغار يوزعون عليك القروش المتبقية معهم بعد أن أنفقوا عليَّ النقود المجمدة.

كيشوت : أنا في قصرك يا مولاي والذوق يقضي بألا أقتل

إلا بعد إذنك!

صاحب الحانة : آه لا! لا يمكن أن تقتلهم.. أنا فى حاجة إلى قروشهم التى يدفعونها مقابل الشراب حتى أعيش!

كيشوت : ما هذه اللغة الغريبة التى تتحدث بها يا مولاى صاحب القصر؟!

صاحب الحانة : أين هو القصر الذى صنعته لى بالأمس؟

كيشوت : " **يتلفت حوله**" أنت أيضاً وقعت فريسة الساحر المخيف في ليلة واحدة!

الزوجة : ساحر! سمعت يا زوجى! نحن فريسة الساحر.. كنت أعلم أن هناك سبباً لكل هذا !

صاحب الحانة : آه! لا تعودى إلى البلاهة أيها السيدة!

كيشوت : صدقنى يا مولاى.. لابد أن أقضى على الساحر قبل أن يقضى على عظمتنا.

صاحب الحانة : لا تحدثنى عن العظمة مرة أخرى..

كيشوت : لا بد منها يا سيدى.

صاحب الحانة : حتى تأكل وتقيم بالمجان، أليس كذلك!

كيشوت : آكل ماذا وأقيم أين، العالم كله ينتظرنى لكى أنقذه من هذا الساحر المخيف.

صاحب الحانة : اذهب إلى الجحيم يا عابس الوجه.

كيشوت : عابس! سأذهب ولكن حافظ على وعدك!

صاحب الحانة : ليست لدى وعود إلى الجحيم.. مزقت ملابسى الممزقة.. ذهبت بعقل زوجتى الضائع.. أفقدتنى صوابى المفقود.. أضعت زبائنى الضائعين حطمت ضلوعى المحطمة.. أكلت طعامى ولم تدفع شيئاً! إلى الجحيم إذن.

كيشوت : مولاى، لقد وعدتنى..

صاحب الحانة : " **وقد فلتت أعصابه** " عصا، إلىَ بعصا!" **واحد من الحمارين يعطيه عصاه** "

كيشوت : لقد وعدتنى.

صاحب الحانة : لم أعد بغير هذه" **يضربه ضربة قوية على ظهره**".

كيشوت : وأنا لا أطلب غيرها يا سيدى، بهذا تكون قد عمدتنى ونصبتنى فارساً وحققت وعدك. أبقاك الله! ليمسك أحدكم السرج حتى أعتلى ظهر جوادى؟!" **فترة صمت** "

الفتاة : أنا!

كيشوت : من أنت؟

الفتـــــــــاة : أنا.. ماريتورن يا سيدى!

كيشـــــــوت : " **ينظر إليها متعجباً ثم يتوجه ناحية الآخرين** " أقول لكم جميعاً: العيون التى لا ترى إلا ما هو أمامها عيون عمياء.. الدنيا كبيرة أيها السادة ولم تتواجدوا فيها بعد.. هذا ما يجب أن تعرفوه وإلا صارت الدنيا حانة معدمة مثل هذه الحانة."

يخرج تتبعه الفتاة. لحظة وقد صمت فيها الجميع"

صاحـــب الحـــانة : هيا يا سادتى الصغار!" **ضحكات الحمارين** " آسف لكل هذا. وسامحونى على كل ما حدث حتى بالنسبة لضرباتكم التى انهالت علىّ.. أنا أرحب بكم فى حانتى أيها الأصدقاء واليوم صاحب الحانة هو الذى سيقوم بخدمتكم

حمـــــــــار : " **للآخرين** " وغد، لكنه تاجر بارع!

" **ضحكات عامة. فيما عدا الزوجة وقد وقفت وحدها فى مقدمة المسرح مستغرقة فى تفكير عميق**"

صاحـــب الحـــانة : إلىّ ببرميل ممتلئ! هيا! ماذا تنتظرين أيتها السيدة صاحبة الحانة.

الزوجـــــــة : عودته..

إظلام

" بروجيكتور من اليمين وآخر من اليسار يضيئان مقدمة المسرح على اليمين دون كيشـــوت ممتطياً جواده وعلى اليسار سانشـــو ممتطياً حماره".

سانشـــو : هأنذا!" **سانشو بائساً** " هل تذكرني! أنا الذى وعدته أمس بحكم جزيرة.. لقد جئت!

كيشـــوت : حسن!

سانشـــو : وجهك.. أنت الذى قررت أن وزنى يساوى جزيرة.. صباح الخير.

كيشـــوت : صباح الخير مساءً!

سانشـــو : الجو جميل أليس كذلك؟

كيشـــوت : نعم.

سانشـــو : صح، صحيح، عندما تصفر الريح من الإتجاه الذى تصفر منه اليوم، أستبشر خيراً.. هذه الريح قادمة من الجزر.. وتناديني أليس كذلك؟

كيشـــوت : ماذا تعنى؟

سانشـــو : الجزيرة!

كيشـــوت : سأعطيك إياها، لا تخف، لكن أعطنى..

سانشـــــــــو : أعطيك.. وعندما أقول أنى مستعد أن أعطى، لا أملك شيئاً فى الحقيقة.

كيشـــــــــوت : الثراء فى داخلك يا سانشـــــــــو!

سانشـــــــــو : هذا ما أقوله دائماً لزوجتى.. لكنها لا تعرف هذه الثروة.. تعتقد أنها فقيرة.. صحيح إنها ظلت تفكر طوال الليل عندما علمت بأنى سأتسلم الجزيرة، وأدركت اليوم فقط الثراء الذى بداخلى.. وقالت لى ربما انك لا تستطيع أن تفعل أى شىء فى حياتك إلا الحكم، وبهذه المناسبة أحب أن أذكرك بأنى لا أحب الدخول فى المعارك ولا أحب أن أحارب ولا أقاتل ولا أى شىء على الإطلاق.. أنا لست مسالماً فقط أنا هادئ جداً وطيب جداً و.. جداً وهذا يرجع إلى عقدة نفسية تجعلنى لا أحب الضرب أبداً. ولهذا أحب أن أرى المستقبل كله أمامى وليس ورائى.. فاذا كان صحيحاً أن القادة الكبار لا يمكن الحكم عليهم فى المعارك، أصبح أنا أفضل قائد عرفه التاريخ.. شىء آخر.. زوجتى تعلم أنى أحب النوم مبكراً حتى استيقظ مبكراً وأشرب اللبن حتى لا يكون نومى ثقيلاً.. وهذا

وعد أعطيته لها بألاّ أتغير ابداً وأنا حاكم..
وأخيراً يا سيدى الفارس وما دمنا قد دخلنا فى
التفاصيل أحب أن أعرفك بأن أمعائى اعتادت
النظام.. أما فيما عدا ذلك فأنا رجلك أنا تابعك
ولكن لا تحاول أن تبالغ فى المطالب بالنسبة لى.

كيشوت : عظيم.. طالما ستمسك بالسرج حتى أعتلى
جوادى وحتى أهبط من فوقه وطالما ستحضر الماء
للجواد وطالما ستعالج جروحى بعد المعارك، فتفاءل
خيراً.

سانشو : أنا سأتفاءل تماماً يا سيدى.. تقدم وأنا
وراءك." **يدخل من اليسار أربع شخصيات ترتدى
كاكولة من قماش الشنط تغطيها من الرأس حتى
الركبة. أما أفخاذها وأرجلها فعارية تماماً..
مربوط أحدهم فى الآخر بحديد يسلسلهم.
وحارسان يحرسانهم.. الطابور يصعد ببطء
المستويات العليا".**

كيشوت : موكب غريب، أى نظام يتبعه هؤلاء الرهبان؟

سانشو : نظام الأشغال الشاقة!

كيشوت : لم أسمع عنهم أبداً.. وماذا يسمونهم؟

سانشـــــو : بدأنا ؟ يسمونهم المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة!

كيشـــــوت : آه! سانشـــــو، هذا النظام يعجبنى..
أنظر كيف يتحدون بقيود الأخوة!

سانشـــــو : ألا ترى أنهم مساجين الملك!

كيشـــــوت : مساجين، كيف؟ أتتصور مثلاً أن الملك يقسو على أحد

سانشـــــو : لم أقل هذا! أقول أنهم محكوم عليهم بالأشغال الشاقة لأنهم عارضوا الملك أو لم ينفذوا أوامره وأحكامه بالضبط

كيشـــــوت : المهم، أراك تحب تشويه الحقائق فتريد أن تبين أن هؤلاء الناس مجبرون على العمل وليس بأرادتهم الحرة.

سانشـــــو : أنا متأكد من هذا طبعاً!

كيشـــــوت : فى هذه الحالة يا سانشو، لا داعى للإسترسال..
إنك بعد لم تضع قدمى على الأرض.

سانشـــــو : تحت أمرك، وخدماتى لا تتأخر أبداً." سانشو **يساعد دون كيشوت على النزول من فوق صهوة جواده ".**

كيشـــــوت : لا تتأخر من أجلك ومن أجلى. أخرج يا سانشـو القدر معنا!

سانشـــــو : ماذا ستفعل يا سيدى؟

كـيشـــوت : سـأخـتـبـر مـهنتى يا عـزيزى، المهنة التى تمنع القـــسوة وتنقذ المظلومين.

سـانشـــــو : آه! مـهـلاً أنظر أين تضع قـدميـك.. تأكـد من الأرض. نحن اثنان لا تنس.

كـيشـــوت : " **يتـجـه ناحيـة الحرس** " سـؤال، أريد أن أسـأل سؤالا، هل تعرفون ما هى الحرية؟

الحـــارس الأول : نعم! أن تتركنا نمر.

سانشـــــو : أفضل إجابة، تعال يا سيدى..

كيشـــــوت : لا أحب الإجابة من هذا النوع.

الحارس الثانـــى : ولهذا عليك أن تكتفى بهذا.

سانشـــــو : صح! نحن لا نريد أكثر من هذا، هيـا يا سيـدى هيا!

كيشـــــوت : أريد أن أعرف ماذا فعل هؤلاء الناس؟

الحـــارس الأول : فعلوا ما يستحقونه بالنسبة لما فعلوه!

سانشـــــو : عظيم! ها أنت قد عرفت! هيا بنا!

كيشـــــوت : هذه الإجابة ليست كافية!

سانشـــــــو : فى هذه الحالة أستطيع أن أقول لك أكثر.سأعطيك معلومات أكثر.

كيشـــــوت : لا! أريد أن أعرف كل شىء منهم هم.

سانشـــــــو : أوه! سانشـو يا حبيبى يجب أن تبحث عن مخرج من هذه الكارثة" **يجرى هرباً** ".

كيشـــــوت : " **للحارسين** " **ألا يقول قانون الشرف أن العدالة** يجب أن تدافع عمن يدافع عنها!

الحارس الثانـــى: وبعد! ماذا تريد أن تقول، الحر بدأ يشتد وأنا لست على استـعـداد للإنتظار أكـثـر من هذا." **دون كيشوت يقترب من المساجين** ".

الحــــارس الأول: " **لدون كيشوت** " عظيم أسألهم عما فعلوه ولا تجعل الغضب يدفعك لقتل أحدهم أو أكثر." **الحارسان يجلسان، دون كيشوت يقترب من المساجين يخاطبهم** "

كيشـــــوت : نعم أيها السادة! ما هى الجريمة التى ارتكبتموها وجعلتكم فى هذه الحالة المؤسفة !

الجميــــــع : نحن أبرياء!

كيشـــــوت : أبرياء أتسمع يا سانشـو، هيه! سانشـو إقترب..

سانشـــــــو : لا يمكن أبداً.. إنى أسمع من بعيـد.. وبما أن

هذا الأمر يهمنى كثيراً فلا أريد أن تضيع كلمة واحدة لا أسمعها.

كيشـــــــوت : يقولون أنهم أبرياء.

سانشـــــــو : أطلب منهم أن يرددوا أمامك الكتـــــاب المقــدس.. إنهم يحـفظونه عن ظهــر قلب لأنى أعتقد أنهم هم الذين كتبوه..

الجميـــــــع : نحن أبرياء!

السجيـــن الأول : أنا هنا لأن هناك من أحبتنى يا سيدى!

السجين الثانـــى : وأنا هنا لأنى أحب الأغانى يا سيدى!

السجيـــن الثالث : وأنا هنا لأن مصيبتى أكبر.. كل آلامى سببها أنى جميل يا سيدى!

السجيـــن الرابع : ماذا أقول عن نفسى يا سيدى، أنقذت المجتمع من المرابين وسرقت النقود النائمة فى خزائنهم.

السجيـــن الأول : " **يجذب إليه كيشـــــوت** " الحب يا سيد جريمة أم براءة؟

كيشـــــوت : براءة طبعاً، براءة.

السجيـــن الثانـى: " **يجذب إليه كيشـــــوت** " إذا كنت تحب الموسيقى ماذا تفعل؟

كيشـــــوت : أغنى طبعاً!

السجيـن الثالـث : " **يجذب إليه كيشـــــوت** " لا أستطيع أن أخفى جمالى، خمس عشرة فتاة تعلقن بى !

كيشـــــوت : أوه! دولسينا! سأذهب إلى السجن يوماً لأنى أحببتك، أم ماذا ؟

السجيـن الأول : " **يجذب إليه كيشـــــوت** " حبيبتك تدعى دولسينا ؟

كيشـــــوت : نعم يا عزيزى! إنها أجمل إنسانة فى العالم.

السجيـن الأول : حبيبتى أغنى إنسانة فى العالم!

كيشـــــوت : ما اسمها ؟

السجيـن الأول : مدام بورصة.

كيشـــــوت : بورصة، بورصة، كيف؟

السجيـن الأول : إنها حقاً منتفخة من أسفل لكن صـــــوتها ذهب.. جننت بها!

السجين الثانـى : " **يجذب إليه كيشـــــوت** " تحب الأغانى، عظيم، تغنى عظيم! لكن إذا لم يكن صـــــوتك جميلاً

كيشـــــوت : أسمع صـــــوت الآخرين!

السجين الثالـث : " **يجذب إليه كيشـــــوت** " خمس عشرة فتاة مرة واحدة، أردُهن كأن معنى ذلك أنى

أقتلهن من الحزن ولكن أين أستضيفهن؟ كان القدر فى صفى عندما مات والدى وترك البيت استضفتهن فيه.

السجين الأول : " **يجذب إليه دون كيشوت** " وقعت الكارثة عندما جرد أحد أبناء مدام بورصة أمه من كل شىء، المال والسمعة أيضاً، ولكن من أسفل..

السجين الثانى : أنا لم أفعل أنا الواقف أمامك أخاطبك، أكثر من جمع خمسة عشر أو عشرين رجلاً وجلسنا نغنى..

السجين الثالث : " **يجذب إليه كيشوت** " بيت أبى كبير وشاسع أمام مدخل المدينة، ولم أفعل أكثر من أنى جمعت الخمس عشرة معجبة وعشنا فى حب وسعادة بعد أن ضممنا إلينا أصدقاء جداً..

السجين الأول : " **يجذب إليه كيشوت** " ماذا تفعل لو أن قاطع طريق سجن دولسينا حبيبتك كما فعل مع بورصتى؟

كيشوت : أنقذها!

السجين الأول : هذا ما حاولت أن أفعله، لكن إذا تعرض لك؟

كيشـــــوت : أقتله.

السجيـــن الأول : هذا ما فعلته.

كيشـــــوت : فعلت خيراً يا أخى!

السجين الثانى : " **يجذب إليه كيشـــــوت** " والفتيان الخمسة عشر كانوا سعداء لدرجة أنهم كانوا يدفعون لى نقوداً عندما أنصت إليهم وهم يغنون! لكن الحكام لا يحبون الأوبرا! ولهذا ينتقمون منى أنا الآن!

السجين الثالث : " **وهو يبكى** " وهاأنذا فى طريقى لقضاء عشر سنوات سجن لأنى نشرت الحب.

السجين الرابـــع : هل يمكن أن نحب هذه العدالة يا فارس الفرسان؟

كيشـــــوت : لا يمكن يا صديقى، لأنها مليئة بالمغالطات.

الجمـــــيع : نحن أبرياء! نحن أبرياء!

كيشـــــوت : أصدقكم يا إخوانى، ولذلك أنا موجود فى هذا العالم ولذلك رأيتكم اليوم.

سانشـــــو : " **جانباً** " واضح أن الأسباب التى جاءت بهم الى هذا العالم هى نفس الأسباب التى دعت أمى إلى إنجابى.

كيشـــــوت : ولكى نبدأ سأمارس الحكمة التى تعلمتها من نظام الفروسية الذى أنتمى إليه.. " **قف ضد**

العنف إذا لم تجد الكياسة " سأحاول اقناع الحرس بالكياسة لإطلاق سراحكم

السجين الأول : هيه! لحظة واحدة!

كيشوت : ماذا.

السجين الثاني: ألا ترى أنهم نائمون؟" **الحارسان مستغرقان في النوم تماماً**

كيشوت : الشيء الذي أدافع عنه يستحق أن أوقظهم.

السجين الثاني : لا داعي. فأنت لا تعرف مزاج هؤلاء الحراس عندما تزعجهم، نمور متوحشة يا سيدي، نمور متوحشة!

السجين الثالث: عندك حق في عدم استعمال العنف، لأنك لن تجد غيره إذا أيقظتهم.

السجين الثاني : وسنحزن يا سيدي إذا أصابك مكروه في هذه المعركة.

كيشوت : أشكركم على مشاعركم يا إخواني، لكني قادر على قتلهم بضربة واحدة إذا لم يطلقو سراحكم..

السجين الرابع: لكن إذا حدث أن قتلوك هم فسنضيع نحن.

كيشوت : لن يحدث شيء من هذا، أنا الذي سأقتلهم

السجيـــــن الأول: إنهم ليسوا حراساً فقط، إنهم عمالقة..

السجيـــــن الثانـى : أم إنك ستلطخ حرّيتنا البيضاء بدمائهم الحمراء.

السجيـــــن الثالـث : من أجلهم نرجوك، نحن على استعداد أن نركع أمامك

الجميـــــــــع : من أجل حراسنا يا سنيور!" **الجميع يسقطون راكعين** ".

سانشـــــــو : " **جانباً** " آه.. هكذا.. لكن.. فعلا إنهم طيبون ويستحقون الحرية.

كيشـــــــوت : سمو أخلاقكم يا إخوانى تدعونى للبكاء ولهذا أنا على استعداد لتنفيذ طلباتكم.. ماذا أفعل؟

السجيـــــن الرابع : " **يشير إلى الحارسين** " من ينام قريباً منا يضع إلى جواره مفتاح الكلابشات..

كـيـشـــــــوت : المفتـاح" **يستدير ناحية سانشو** " سانشـــــــو! المفتاح

سانشـــــــو : المفتاح! لكن أمر المفاتيح من شأن البوابين وليس مديرى الحظائر.

كيشـــــــوت : إنه المفتاح يا سانشو الذى سيفتح فى يوم من الأيام باب جزيرتك.

سانشـــــــو : كلابشات المساجين ليست باباً..

كيشـــــوت : وباب الجزيرة ليس باباً.. هيا بسرعة يا سانشو! ستشقل بالعمل إذا استيقظ أحد هذين الحارسين..

سانشـــــو: أوه! يا سانشو، هل تدرك الآن أن حرث الأرض أسهل من هذا؟" **يتجه ناحية الحارسين. الكل ينتظره بصمت.. وهو يقترب من الحارسين يشير إلى أحدهما** " هذا؟

السجن الأول : لا، الثانـــي.

سانشـــــو : هنا؟

السجين الأول : لا، هناك.

سانشـــــو : هنا؟

السجين الأول : نعم، هنا.

سانشـــــو : هنا؟

السجين الأول : قلنا هنا. " **سانشو يجذب المفتاح من حزام الحراس وهو يقفز ناحية كيشوت، لكن قدمه تصطدم بسروال واحد منهما مما يوقظهما معاً. لكنه كان قد سلم المفتاح**

الحارس الأول : النجدة! إلى المعركة.

الحارس الثانى : " **يستيقظ مهرولاً** " ماذا؟ إيه؟ من؟ متى؟ لماذا؟

الحارس الأول : " **يمسك بخناق سانشـــو** " ماذا تفعل فى سراويلنا يا؟

سانشـــــــو : ليس أنا.. أنا لست..

الحارس الثانـي : لست أنت..

سانشـــــــو : أهييه..

الـحــارس الأول : ليكن أنت أو غيـرك عـمـومـاً وجـهك يشبـه ذيل الجواد.. هيا، تعال!" **الحارسان يدفعان سانشو ناحية المساجين.. ولكن كيشوت يكون قد فتح كل كلابشات المساجين "..**

الحــــــارس الأول: آه إهييه! لكن.. أنا.. أنتم..

الحارس الثانـــــي : ما هذا؟ نحن.. أنا.. يعنى.. إذن..

الحـــــــارس الأول : الكلابشات .. مفتاح.. حديد..

الحارس الثانـي : حزامى.. ال.. حزام.. أنا.. هنا..

الحـــــــارس الأول : " **ينفجر** " حيوان! أراهن أنك كنت نائماً!

الحارس الثانـي : أهييه، وأنت؟

الحـــــــارس الأول : ليس هذا وقت الشـجـار.. أين بندقـيـتى!" **يوجه بندقيته ناحية المساجين ".**

كيشـــــــوت: أيها السادة، عندما تبين لى أن هؤلاء الناس أبرياء، نفذت الأمر بهدوء وبساطة، لكن إذا كان هذا لا يروقكم وتريدون

الحـــــــارس الأول: هيه! كلام عظيم.. ستصيبك ضربة قوية تنسيك

كل ما فعلته فى حياتك " **المساجين يتوجهون ناحية الحارسين** "

الحـــــارس الأول : النجدة! النجدة!

الحـــــارس الثانـى: " **لدون كيشـــــوت** " سأتذكر وجهك الكريه جيداً أنت يا فارس الغبرة." **الحارسان يهربان وسط ضحكات المساجين** "

السجيــــن الأول : ونحن يا إخوانى، ليذهب قطيعنا من الناحية الأخـــرى" **يفرون** " إلى الناحية الأخرى.

كيشـــــوت : لحظة" **الكل يتوقف** " أستطيع أن أطلب منكم خدمة؟

السجين الثالـث : أقصر خدمة ممكنة، بسرعة!

كيشـــــوت : أرجو، وهذه رغبتى، أن تذهبوا فوراً إلى مدينة توبوزو. وتقصون أمام زوجتى دولسينا كل شىء بالتفصيل وتمتدحون الفارس الذى أنقذكم لأنى فعلت كل هذا من أجلها وبناء على وعدى لها.

السجيــــن الأول : " **وسط ضحكات الجميع** " إعتمد علينا.. هيا بنا.

كيشـــــوت : " **يسد الطريق** " إنتظروا! توبوزو من هنا!

السجين الرابــــع : أفضل لنا أن نذهب من هنا!

كيشـــــــوت : من هنا لن تصلوا أبداً..

السجيـــن الأول : ما يشغلنا يا محررنا الأكبر، هو أننا نستهدف مكاناً بعينه.

كيشـــــــوت : هيه! اذهبوا إلى توبوزو أولاً.

السجـــين الأول : هيه، توبوزو، هيه! ليمتط زوجتك قرد!

كيشـــــــوت : " **ينتصب أمامهم مرتعداً** " دم عروقى! عصب أذنى! يلعنون زوجتى يا للعنة.. خونة.. هذا هو رد الجميل! جبناء، تفصحون عن وجوهكم.. " **المساجين يرفعون ملابس الرهنة التى كانوا يرتدونها ويظهرون كقطاع طرق** ".

سانشـــــــو : " **مرتعداً** " يا لها من مصيبة! سيدى هل لا بد من أن يخلع المرء ملابسه بهذه الطريقة حتى يغزو جزيرة؟

كيشـــــــوت : آسف، يا دولسينا، يا سيدتى الجميلة! هذه غلطتى، أرجوك لا تموتى من الخوف لكن أقسم لك ألا يستمر ذلك!" **للمساجين** " باسم الدفاع الذى قمتم به من أجل النقاء أن تضعوا فى أيديكم الكلابشات كما كانت" **المساجين ينظرون إلى بعضهم لبعض** " هيا! لم يعد لديكم

ضمير؟ ولا شرف؟ ولا ضمير وشرف، ماذا عندكم إذن؟ سانشـــــو يا عزيزى اجمع هذه الكلابشات أرجوك.

سانشـــــو : " **يجمع الكلابشات** " فى أى مكان أضع معدات الحرب هذه.؟

كيشـــوت : فعلاً معدات! ضعها فى أيدى هؤلاء الناس الذين لا يتمتعون بضمير.

سانشـــــو : ماذا تقول؟

كـيـشـــوت : أعد هؤلاء المساجين فى كلابشاتهم يا سانشـــــو.. سنسلمهم نحن إلى السجن.

سانشـــــو : أنا.. تريد أن تقول.. أنا.. سانشـــــو؟ لكن يا سيدى.. أنا..

كيشـــوت : هيا!

سانشـــــو : " **يتقدم وهو يرتعد وقد أخذ يشخشخ الكلابشات فى مواجهة المساجين الذين ينتظرون بأقدام ثابتة. وقد جف حلق سانشـــــو** " تسمحون لى يا أسيادى الظرفاء إذا تكرمتم وساعدتمونى فى المهمة الصعبة الملقاة على عاتقى.. ربما شرفتمونى.. بأن

أجعل أقدامكم تتقدم قليلاً.." **في حركة واحدة يدفع المساجين بأقدامهم إلى الأمام في مواجهة سانشـــــو الذي يتعرقل في الكلابشات المتساقطة وقد تكور على نفسه كالبالونة ها! ها! ها!**

السجـــين الأول : " **لدون كيشـــــوت** " اقترب أنت أيضاً! هل تعلم يا أيها المحرر الأكبر أنه لا يكفي تحرير الناس؟ لكن لابد من توفير سبل الحياة لهم بعد تحريرهم.

كيشـــــوت : ماذا تبغون من القول؟

السجين الثانـــي : سماد الموعظة! حرية يعني أكل! أكل يعني نقود. نقود يعني جيبك.

كيشـــــوت : في هذه الحالة ستموتون جوعاً لأني لا أحمل نقوداً..

السجين الثالـــث : وهذا ما نريد أن نتأكد منه بأنفسنا." **يلتفون حوله ويتكاثرون عليه يقع على الأرض فيقلبونه ويفتشونه** ".

كيشـــــوت : خونة! أنذال! سفاحين! سأعرف كيف أقطع ألسنتكم وأقطع ...

سانشـــــــو : دع العاصفة تمر يا سانشـــــــو الصغير! وإلا ضاعت جزيرتك.

السجيـــن الأول : هذا صحيح ليس معه ولا ظل قرش..

السجين الثـانى : هيه! الجواد!" **يقصد جواد دون كيشـــــــوت**".

كـيـشــــوت : أول من سيلمس جوادى.." **كل المساجين يجرون ناحية الحصان.بينما صهيل حاد يجلجل فيتوقف الجميع** ".

السـجـين الثـانى : لحـمـة، من الممكن أن نأكله، أما الشيطان الذى بداخله!

السـجـين الرابـع: نعـاين الحـمـار" **يتـوجـهـون ناحـيـة حـمـار سانشـــــــو** "

السجــــين الأول: " **وهو يتجه ناحية دون كيشـــــــوت** " ليحترق من يدافع عن الناس دون أن يملك ما يحميهم به" **يخرج** ".

إظلام

" **أصـوات نفـيـر.. بروجكتـور، على براتيكابل.. يكشف عن مناد يمسك بيده ورقة طويلة بيـان. مجموعة من الرجال والنسـاء يستمعون إليه فى مقدمة المسرح**".

المنـــــادى : البوليس الأب المقدس المحبوب لعامة الشعب، يعلن أنه سيدفع ألف جنيه ذهب لمن يسلم أو يبلغ عن اثنين متشردين، أحدهما يدعى أنه فارس والآخر تابع له.. حدث أن هرب الإثنان مساجين كانوا فى طريقهم إلى السجن، وتعرضا لحرس الملك.. ومع أن الحرس قد حكم عليهم بالإعدام ونفذ فيهم الحكم على الفور إلا أن الإثنين لم يظهرا بعد.. ألف جنيه ذهب أيها المواطنون الحاضر يعلن الغائب! يا أهل البلد!

"أصوات نفير. المحارب يخرج. جموع الحاضرين تتحرك. يظهر عدد من الحمارين وصاحب الحانة وزوجته والمربية والحلاق والقس والفتاة ابنة أخت دون كيشوت ثم زوجة سانشو".

حّمـــار : إنه هذا الرجل! أراهن أنه الرجل إياه!

الفتـــاة : " **للمربية** " إذا كان المقصود السنيور خالى فلا بد أن نسرع فى إبلاغ الكاتب من أجل الوصية.

تيريـــز : " **لأحد الحمارين** " هذا التابع ما شكله؟

الحـــلاق : " **للقس** " ألف جنيه ذهب! لم أكن أصدق أنهما يساويان هذا المبلغ!

صاحب الحانة : " **لزوجته** " هذه الوصية طيبة علينا أن نضع عليها أيدينا ولا ندعها تفلت.

الزوجة : حماه الله دون أن يؤذيه أحد..

صاحب الحانة : سأراه! وسأمسك به واسلمه لهم!

تيريز : أرجوك يا عزيزى ما شكل هذا التابع؟

صاحب الحانة : " **دون أن يسمع** " سأجده، أقول سأجده!" **يخرج وهو يسحب زوجته** ".

الحّمار : " **للحّمارين الآخرين** " ألف جنيه ذهب! تعالوا يا إخوانى نبحث عنهما تحت الأرض." **الحمارون يخرجون** "

المربية : " **للحلاق** " هيه! تحرك! ألا تلاحظ أنه ينبغى أن نمسك بالعصفور قبل أن ينتزع غيرنا ريشه.

الحلاق : هيه! من الأفضل أن ينتزع ريشه حتى لا يطير" **يخرجان** "

تيريز : " **للقس** " قل لى أبقاك الله، ما شكل هذا التابع؟

القس : وبعد! وبعد! ينبغى أن أعود قبل الجلاد" **يخرج مهرولاً** "

تيريز : " **للفتاة** " قولى يا حلوة هل تعرفين التابع!

الفتـــــاة : كلا. كفانى الفارس يا إلهى! امنحنى الفرصة حتى أجهز الثوب للجنازة فلا يبدو فقيراً".

تخرج "

تيريـــــز : ليصيبهم الطاعون جميعاً! لم يتكلم أحد عن التابع! يا سانشـــــو المسكين لعلك أنت المقصود؟ وجزيرتك؟ يا سانشـــــو؟ إذا كان الرجل متزوجاً فلا بد أن يكون ثرياً إذا مات قبل الأوان! سانشـــــو يا زوجى لا أحد يهتم بك إلا أنا تعال ببؤسك وفقرك. تعال كما أنت بغلبك وقرفك! تعال يا حاكمى العزيز فأنا جزيرتك.

إظلام

" إضـــاءة على البـــراتيكابل العلوى. دون كيشـــوت يطل بنصفه سانشـــو يعدو من اليمين إلى اليسار يراقب ما إذا كان أحد قادماً"..

سانشـــو : هاهو حالنا! عظيم! أنا بغير حمار، وأنت بغير جواد، عيوننا وراء كل حجر والجوع فى بطوننا والملك يبحث عنا فى كل مكان، النفير يدوى فى أرجاء الأرض وهذا حالنا، هذا حالنا.

كيشـــــوت : أطيب حال يا سانشـــــو، أنا شخصياً سعيد وفخور بكل الأقدار التى تحيط بنا.

سانشـــــو : فخور.. وسعيد.. الأقدار.. ألم تر مشنقة قبل ذلك يا سيدى الجميل؟

كيشـــــوت : اهتمام غريب وقلق عجيب! ليس من التقاليد أن يشنق فارس.

سانشـــــو : صحيح؟ خير عظيم! لكن التابع يا سيدى! ما أخباره؟

كيشـــــوت : لا يمكن إستثناء كل البشر وإلا فماذا تفعل السلطة؟

سانشـــــو : طبعاً! وهذا ما يشغلنى، يشغلنى تماماً!

كيشـــــوت : لكن التابعين عادة لا يخشون شيئاً!

سانشـــــو : " **بامل** " يعنى لا يشنقون؟

كيشـــــوت : جائز! لكن فى الوقت الذى يضع فيه الجلاد حبل الشنقة حول عنق التابع، يطلق الفارس صرخة مدوية ويخترق الصفوف ويقيد الحرس ويطرح الجلاد أرضاً ويقطع الحبل بضربة سيف واحدة وينتزع تابعه ويختفى.. هذا شئ عادى للغاية كثيراً ما يحدث وكثيراً ما نقرأ عنه فى كتب الفروسية

سانشـــــو : أسوأ ما فى الأمر يا سيدى، أنى لا أعرف القراءة!

كيشـــوت : وهل تشك فى معلوماتى؟

سانشـــــو : كيف! معقول! لا بد وأن أصدق! إن لم يكن لديك شيء آخر تقوله.

كيشـــوت : اسمع، عليك أن تقاوم حتى تعثر على جزيرتك وأعثر أنا على ما أبحث عنه.

سانشـــــو : ومتى يحدث ذلك كله؟

كيشـــوت : عندما نصل!

سانشـــــو : وأين نصل؟

كيشـــوت : بعيداً، بعيداً جداً.

سانشـــــو : أبعد من ماذا؟

كيشـــوت : أبعد من الأبعد!

سانشـــــو : لاحظ أنى أسير على قدمى.. وأموت جوعاً..

كيشـــوت : إسترح قليلاً وتناول طعامك!

سانشـــــو : أشكرك على هذه النصائح! لكن لو سمحت قل لى أيضاً ماذا آكل بعد أن ذهب الخرج مع الحمار.

كيشـــوت : أنت محظوظ فيمكنك أن تشكو!

سانشـــــو : ولماذا لا تشكو أنت أيضاً، هل يمنعك أحد؟

كيشـــوت : ممنوع على الفرسان الشكوى، حتى المـــــــوت!

سانشــــو : قانون رهيب بحق! كنت أحس بالضرب الذى انهال عليك به هؤلاء الحمارون كما لو كنت أنا المضروب..

كيشـــوت : غريب، أنت المجرد من الأصل والنسب يمكن أن تتألم لألم إنسان آخر.

سانشــــو : إنسان آخر، هل أعرف بالضبط، لكن ألمك أنت يخيل إلىّ أنى أتألم له.

كيشـــوت : " **يشد على يده**" عندما تتشابك أيدينا بماذا تحس؟

سانشــــو : شجاعة غريبة.

كيشـــوت : وعندما تتلاقى عيوننا؟

سانشــــو : أمل غريب.

كيشـــوت : سانشـــــــو؟

سانشــــو : سيدى!

كيشـــوت : عد أنت!

سانشــــو : ماذا تريد أن تقول؟

كيشـــوت : عد أنت، فلا زال الوقت مبكراً!

سانشــــو : وأتركك؟

كيشـــوت : نحن محاطان بمخاطر قاتلة!

سانشــــو : ستدافع عنى!

كيشـــوت : من الممكن أن أموت أنا أولاً!

سانشـــــــو : لا يمكن!

كيشـــــوت : من يعلم؟

سانشـــــــو : أنا!

كيشـــــوت : لماذا؟

سانشـــــــو : لأنى أثق بك.

كيشـــــوت : " **يقف وقد امتدت قامته فى ذهول"** يا أرض، يا سماء، يا أشجار، يا عصافير، يا رياح، يا.. اشهدوا على الحدث العظيم الذى يتم الآن.. وجدته، وجدت صديقاً! لم أعد وحدى! يدك يا سانشـــــــو، يدك يا أخى يا صداقة عظيمة تولد! كل شىء أصبح ممكناً، لم يعد هناك مستحيل." **سانشـــــــو يبكى بينما تظهر على الجانب الآخر من الكواليس أميرة لها وجه دولسينا"**

الأميـــــرة : أحييك يا فارسى المحترم! بطولتك وشجاعتك ملأت أحلامى.. وجعلتنى أنتظرك منذ أمد بعيد!

"إظلام على الأميرة. إضاءة على براتيكابل آخر حيث اثنان من الخدم يمسكان بروب أرجوانى مرصع".

خـــــــادم : الملك يطلب من السنيور الفارس قبول الروب الأرجوانى تحية له.

كيشـــوت : قل للملك أنى لن أقبل الثوب إلا بخشوع! " **كيشوت يذهب ناحية الخادمين اللذين يضعان الروب على كتفه**".

سانشـــو : يا عينى، صديقى أصبح ملكاً، كما الملك!

كيشـــوت : العقل يا سانشو، العقل! " **إضاءة على بقعة أخرى من المسرح. يظهر ملك مغطى بالذهب**".

الملـــك : إنى أمنحك عطفى ورعايتى لأنك حاربت من أجل الملك وعرضت نفسك للموت من أجل الملك!" **دون كيشـــوت راكعاً. إظلام على الملك. إضاءة على وصيفة عجوز**"

الوصيفة : " **لدون كيشـــوت** " هيا معى يا فارس الفرسان.. الجميع فى انتظارك."
كيشـــوت يتبعها ببطء، إضاءة تغير سور حديد عليه رسومات مختلفة. خلفه تقف الأميرة".

كيشـــوت : صحيح يا أميرة دولسينا تطلبين رؤيتى؟

الأميـــرة : صحيح يا فارس الفرسان دون كيشـــوت تحارب من أجل الملك؟

كيشـــــــوت : أميـرتى، يا أميـرتى، دولسـينا!" **إظلام على الأميرة وعلى دون كيشــــــوت"**

سانشـــــــو : هاأنت قد مشيت وأنا وراءك، عظيم.. وأصبحنا فى المعمعة.. لن تستطيع أن تعد انتصاراتنا، كسبنا الحرب فعلاً! الحرب وقد كسبناها وها نحن فى القصر.. فى البلاط.. على البلاط **"موسيقى صاخبة".**

الملـــــــك : أحب أن أعلن بنفسى أهم خبر فى العصر وفى العصور المقبلة.. قررت اليوم فى الصباح الباكر بعد تفكير عميق أن أمنح الفارس دون كيشوت المال الذى يستحقه عن النصر العظيم الذى حققه لى.

سانشـــــــو : عظيم يا صديقى السنيور! اسمع بأذنى الآن الخزائن وذهبها يصطق.

الملـــــــك : لكن وزير المالية أفهمنى أن نصيبه من الذهب قد يحدث خللاً فى ميزانية الدولة ولهذا قررت أن أمنحه إبنتى الأميرة دولسينا.

أحـــد الوزراء : لكن يا مولاى، ما هو تاريخ هذا الفارس؟

الملـــــــك : المؤرخون الذين يفهمون أكثر منا، وجدوا بعد بحث طويل وعميق أن هذا الفارس ينحدر من سلالة

ملكيـــة وأنـه ابن مـلك مـن قـــديم الزمـــان. وهذا
يجـــعلنى أطمـــئن أن الإرث الملكى لـن يضـــيع
وأستطيع بعد ذلك أن أموت مرتاح الضـمير.. آه

**"الملك يضع يده على صدره ويسقط. ثلاثة أطباء
يدخلون مهرولين وينكبون على الملك "**

الطبيـــــب الأول : ممكن.

الطبيب الثانـــــى : ربما..

الطبيب الثالــــث : مات!

**" إظلام على اللوحـة.. مـحـارب يحـمل السـلاح
يخترق المشهد وهو يهبط من السلالم"**

المحـــــــارب : مـات الملك! يحـيـا الملك!" **نفـيـر.. صـيـحـات
الحشود الغفيرة"**

الحـشـــــــــود : مـات الملك! يحـيـا الملك! " **إضـاءة على
براتيكابل. داخل مـا يشـبـه الصندوق المكعب
تعلو مظلة أرجوانية رمز السلطة. حرس يلبسون
دون كـيـشـوت الروب الملكى المرصع بالذهب.
ويضعون على رأسه التاج وفى يده الصولجان.
الأميرة تتقدم نحو الصندوق".**

الأميـــــــرة : مولاى! سيدى وزوجى! ألا ترى أن الوقت قد حان لتتذكر تابعك سانشو الذى لازمك فى معركتك ووقف إلى جوارك فى كل الأوقات!

كيشـــــــوت : هذا ما كنت أفكر فيه يا زوجتى النبيلة.! " **يأتى بإشارات يدخل خادمان يحملان صندوقاً من الذهب لدرجة أنه لا ينغلق من كثرة امتلائه. الخادمان يضعان الصندوق تحت قدمى كيشـــــوت. يتوجه كيشـــــوت إلى سانشـــــو الذى لا يزال واقفاً على البراتيكابل العلوى".**

كيشـــــــوت : سانشـــــــو! صديقى الحميم، تناول من يدى الصديقة لا الملكية ثروة مؤقتة، لا تلغ الجزيرة التى وعدتك بها.

سانشـــــــو : " **متحمساً** " هذا هو الكلام! هذا ما كنت أريده، أنا قادم يا مولاى، قادم. **"سانشـــــو يهرول نحو كيشـــــوت ويدخل فى الصندوق أو القفص وما أن يدخل يغلق فجأة بحديدة ضخمة. والقفص كما لو كان من ذلك النوع**

الذى تحبس فيه الحيوانات المتوحشة.. سانشـو يصرخ.. إضاءة على المقدمة، فتظهر مجموعة الحمارين وهم يتصايحون". " وبينما يتصايح الحمارون ويرقصون فرحاً يسدل الستار"

" نهاية الجزء الأول"

—

" الإضاءة تغطى ديكور نهاية الجزء الأول، لكن الصندوق تحول إلى قفص مصنوع من الحديد وبالداخل دون كيشــــــــوت فى صحبة سانشــــــــو بلا أية علامات ملكية كما تركناه. دون كـــيـــشــــــــوت وسانشــــــــو تعلوهما إمارات الحزن والأسى خلف قضبان القفص".

الحمّـــــــارون : ألف جنيه من الذهب! ألف جنيه من الذهب!

الحمّـــــار الأول : نعم أعتقد أننا الذين سنحصل عليها يا إخوانى!

صاحـــب الحـــانة :" **يدخل وهو يعدو** " لحظة أيها السادة الحمّارة!

الحمّار الثانـــــى : هيه! لا تضيع وقتنا أيها السيد صاحـــب الحـــانة!

صاحـــب الحـــانة : دعوا هذا الرجل لى! دعوه لى! أنا الذى فكرت فى هذا الفخ!

الحمّار الثالـــث : ومن الذى صنع القفص؟ من الذى جاء به إلى هنا ؟

صاحب الحانة : أرجوكم، دعوا لى هذا الرجل!

الحمّار الرابع : ولماذا إذن؟ هل تريد أن تحصل على الألف جنيه وحدك؟

صاحب الحانة : يا للشيطان! لا أريد شيئاً! لو كنت أملك مالاً لأعطيتكم الألف جنيه! دعوا لى هذا الرجل! دعوه لى أرجوكم!

الحمّار الأول : آه! هكذا! هل جننت أم ماذا ؟ ماذا ستفعل بالهيكل العظمى هذا ؟

صاحب الحانة : سآخذه إلى الحانة.. أريد أن يجعلنى صاحب قصر مرة أخرى! " **ضحكات الحمّارين**" نعم! يمكنكم أن تضحكوا" **يتجه ناحية القفص** " شيطان ملعون! أضعت كل أحلامى أحلامى التى تعض فى جسدى وتقطع لحمى! تعال! تعال! إنه عملك، استكمل أحلامى أيها الخائن!

الحمّار الأول : " **يوقف صاحب الحانة الذى يندفع ناحية مقبض القفص** " مهلاً! بهدوء! نحن أيضاً أصابتنا الأحلام! وألف جنيه من الذهب كانت من الأحلام التى تمسك برقابنا.." **يدخل الحلاق، القس، الفتاة، والمربية**"

الحـــــــــــلاق : من هنا، من هنا، إذا كـانت المسـألة مـتعلقـة بالألف جنيه فان قصرنا ليس ببعيد حقاً.

سانشــــــــــو : هيه! سيدى! أتنتظر حتى يصلحون القفص! تعال! ليس لدى حب استطلاع حتى أعرف من هو الفـائز "**سـانشـو وهو يقـفـز يجـذب دون كيشـوت بينما المعركة تحتد**"

إظلام

"**إضـاءة فى وسط مـقـدمـة المسـرح. دون كـيشــــــوت على حـصـانه بينمـا سانشــــــو جالس بين فخذى الجواد**"

كيشـــــــوت : انهض يا سانشــــــــو وارحل!

سانشـــــــو : كيف، لقد أنهكت قدماى، لنا الآن يوم بأكمله هاربين!

كيشـــــــوت : نحن لا نهرب أبداً، يا سانشـــــــــو!

سانشـــــــو : سمها كما تشاء.

كيشـــــــوت : يشهد الله على أن السبب الوحيد الذى لم يجعلنى أنتظر آخر من سيظل على قيد الحياة هو أن العالم فى حاجة إلى جهود مهنتى كفارس بغير إحتمال للإنتظار! مع هذا فان الملائكة هى التى ألهمتنا!

سانشـــــــو : أية ملائكة؟

كيشـــــــوت: كيف.. ألم ترها؟ المسألة فى حاجة إلى إيضاح. سانشـــــــو ساعدنى على الهبوط من فوق الجواد.

سانشـــــــو : أنا قادم يا سيدى، قادم! أو كما يقول المثل " السادة على أرض صلبة طالما هم على أكتاف الخدم "! "**يتكلم وهو يساعد كيشوت على النزول** " كل معلق من رقبته، من فات قديمه تاه.. ومن يدرى..

كيشـــــــوت : " **قدمه على الأرض** " ومن يدرى ماذا يحدث لمن يمد لسانه

سانشـــــــو : خلاص، الصمت! " **فترة صمت** "

كيشـــــــوت : ألا ترى كوجهة نظر أن من خلصنا هم الملائكة؟

سانشـــــــو : من وجهة نظرى ووجهة نظرهم..

كيشـــــــوت : ألا ترى إلاّ بعينى التابع يا سانشـــــــو؟

سانشـــــــو : على الأقل إلى أن أصير حاكماً! وعليك أن تلاحظ أننى لا أحب أن أعيش فى غير الواقع!

كيشـــــــوت : ماذا تقصد بغير الواقع؟

سانشـــــــو : مثلاً.. مثلاً.. أين ثوبك الملكى يا صديقى السيد.. أين تاجك؟ أين صولجانك؟

كيشـــــــوت : " **يتحسس رأسه وجسده وينظر إلى يديه** "
صحيح أوافق على أنها ليست معى!

سانشــــــو : أين هى، أخبرنى أرجوك.

كيشـــــــوت : أستطيع أن أجد ثلاثين أو أربعين تفسيراً لذلك.

سانشــــــو : أولهما أنك لم تعد ملكاً! كفى! كفى.

كيشـــــــوت : أنا ملك! لكن كل شىء وله وقت! تذكر ما تحملناه حتى تحقق هذا! فى وقت قصير، يعنى نستطيع أن نحقق أكثر من هذا وبسرعة مرة أخرى! نحن مازلنا فى الأمس واليوم لم يأت بعد وغداً قبل اليوم وأمس.

سانشــــــو : وجزيرتى يا سنيور؟" **صـــــوت الحمار** " يا للسماء صوت صديقى الجميل. ماذا أسمع؟ النغم الحزين، العندليب!" **ضوء على حمار سانشـــــو وقد وقف على براتيكابل، وسانشو يصيح فرحاً**" حبيبى، حبيبى" **يتجه ناحية الحمار**" صوتى الحبيب، المتحدث الشخصى بأسمى، مندوبى الرسمى، ربعى الأسفل، يا ألف أهلاً! ظللت ساهراً أعد النجوم

ليالى طويلة فى غيابك يا حبى!" **يبكى من السعادة** "

كيشوت : أرأيت يا سانشو كيف يعود كل شىء، ومن يدرى!

سانشو : صح، أنت على حق! نحن مازلنا فى الأمس واليوم لم يأت بعد وغداً قبل اليوم وأمس.. أنا على إستعداد للذهاب معك إلى آخر الدنيا، حتى بداية العالم، وربما حتى بطن أمى مرة أخرى!

إظلام

" موسيقى راقصة فى قرية. إضاءة على كل المسرح. قرويات وقرويون بملابس العيد يرقصون طباخون وخدم يمرون وسط الراقصين، يحملون صحوناً كبيرة من شرائح اللحم واللبن. فى أعلى مستوى على شبه كوشة موردة يجلس العريس كبيراً وضخماً وبكرش ينظر إلى ما يحدث بضحكة كبيرة مجلجلة. أثناء الرقص ينظر إليه الفلاح والفلاحة ويوجهان إليه عبارة يجيب عليها بضحكة عالية تبدى سعادته".

راقص : يعيش أغنى الأغنياء! بارك الله فى زواجه كما بارك فى محاصيله.

راقصة : ليدخل فى قلبه الحب كما أدخل المال فى خزائنه.

راقص : ولتلد زوجتك أطفالاً بعدد الأغنام التى تلدها حظائرك، حتى نأكل فى كل عيد ميلاده..

راقصة : معنى هذا أن نقودك الذهبية هى الوحيدة التى لن تغنى لأمجادك الليلة." **يضحك ضحكة عالية ويأخذ من الصندوق المفتوح على ركبتيه ويلقى بالقطع الذهبية بحيث يترك الجميع الرقص ويلملمون القطع**"

الجميع : يعيش أغنى الأغنياء! يعيش أجمل العرسان.!

العريس : " **وهو لا يزال يلقى بالذهب** " كلوا يا أغنام، كلوا اللحم والذهب! كلوا! كلوا!" **بينما كل واحد منهم يحاول الحصول على أكبر قدر من الذهب، وقد إرتمى على ركبتيه أو زحف على بطنه، يدخل كيشوت يتبعه سانشو، كيشوت ينظر إلى المعركة الدائرة ثم إلى العريس الذى يتهلل.**

إثنان من الراقصين يقفان الأول فى أعقاب الآخر، حتى مقدمة المسرح"

الراقـــــــص الأول : أتركنى، أتركنى..

الراقص الثانـــــــى : دعنى أنت أولاً.

الراقـــــــص الأول : دع هذه، أنا الذى رأيتها أولاً.

الراقص الثانـــــــى : تراها شىء وتمسك بها شىء آخر.

الراقـــــــص الأول : دعها يا كلب.

الراقص الثانـــــــى : إحذر، فالكلاب تعض..

الراقـــــــص الأول : سأكسر أسنانك.

الراقص الثانـــــــى : إقطع يديك قبل أن تمدها.

الراقـــــــص الأول : سأقتلك" **يسحب سكينه** ".

الراقـــــــص الثانـــى : إذا كان الأمر كذلك، فسأغير لغتى معك" **يســحب هو الآخــر سكينه ويقف الإثنان فى مواجهة بعضهما** ".

العـــريـــــــس : " **وهو يبدى إبتهاجه** " كل فى مكانه! كل فى مكانه! سكوت! دعونى أرى المشهد الذى يتم بين هذين الصـــديقـــين! دم وأمـــعـــاء.. لو سمحتم.. دم وأمعاء!

سانشـــــــو : لا دخل لنا! عندما تتحول قطعتان من الذهب

إلى جثتين إذن لا داعى لهما، صدقنى."

الجميع يتجهون ناحية دون كيشوت "

العريس : من هما؟ لينصرفا، ألا تريان أنكما تعطلان سعادتنا؟

كيشوت : سعادتكم! يا صندوق قمامة! تعتقد أن فارساً مثلى يمكن أن يشاهد حيواناً مثلك وهو يستمتع بدم الناس عن طريق أمواله؟

راقصة : سلمت يا فارس الفرسان! النقود هى التى جعلتنا ننحنى

كيشوت : كلا يا آنسة! لا شىء فى الدنيا يجبرك على أن تنحنى. إن الله يطلب منا أن نرفع رؤوسنا ونحن نناجيه" **ينظر إلى العريس**" إذا كان لديك برميل من النقود تريد أن تفرغه يا برميل شحم، قف واذهب إلى كل منهما ضع النقود فى يديه وأعتذر له!

العريس : " **يمسك بامرأة كانت تمر بجواره** " دادا، دادا، أنظرى إلى هذا الشخص الذى يريد أن يفسد ليلة عرسى؟

كيشوت : ليلة عرسك! سأجعلها ليلة لجنازتك!

العريــــــــس : دادا، إنه يلعن طفلك المدلل، حبيبة دادا،" **وهو يبكى**".

المــــــــرأة : أتدرى مع من تتحدث، يا أنت، أغنى أغنياء البلدة! من أيام قيصر وقارون.

كـيشـــــــوت : وأكبر الأشرار أيضاً من أيام الذين كانوا يمتصون لبن الأمهات.

العريــــــــس : دادا، دعيه يصمت.

المــــــــرأة : هدىء من روعك يا حـبـيـبى.." **لدون كـيشـــــــوت** " ألا ترى أن الليلة عرسه وأننا فى إنتظار العـــروس وأنك يجب أن تنسحب الآن وفوراً.

سانشــــــــو : يالهم من قوم سخفاء يا سيدى، هيا بنا.

كيشــــــوت : سخفاء غير سخفاء، سأظل فى إنتظار هذه الإنسانة التى يمكنها أن تتزوج من هذا الحيوان حتى أنهيها عن هذا الزواج.

الجميـــــــع : العروس، العروس، ها هى العروس..

" موسيقى تصدح والرقصات تعود"

راقـــــــص : تحيا العروس!

راقــص آخــر : أجمل الجميلات!

كيشـــــوت : أنت كاذب، أجمل الجميلات هى دولسينا!

الراقص الثانى : إسمها للأسف كاترينا!" **تدخل العروسة محاطة بفتيات وعازفو الكمنجات.. كاترينا جميلة بالفعل تزى وهى تشبه فعلاً دولسينا**".

راقصـــــة : كاترينا، جمالك جعل كل فتيات سان دياجو يمتن غيرة.

راقصه آخرى : بعد أن رأيناك سنكسر كل مرايانا.

راقصه ثالثة : كل ثيابنا بهتت أمام جمالك.

العريـــــس : " **يصيح فى دون كيشـــــوت** " مارأيك إذن أيها الدخيل؟" **دون كيشـــــوت مبهوتاً ينظر إلى كاترينا.**

كيشـــــوت : دولسينا! سيدتى.. ماذا تفعلين هنا؟

العـــــروس : ماذا تسمينى يا سيدى؟

المـــــرأة : لا تعيرى إهتماماً يا عروسنا، إنه مجنون "**لكيشوت**" تستطيع أن تذهب الآن للشيطان. **"العروسة تتجه ببطء ناحية العريس الذى يمد لها ذراعه وهو يضحك ضحكته المجلجلة"**

سانشـــــو : عندك حق يا سيدى! إنها قبيحة حقاً، هيا بنا إذن.

كيشـــــوت : قبيحة حقاً؟ ألا ترى أنها سيدتى دولسينا؟

سانشـــــــو : وهل يعقل أن تتزوج دولسينا من حيوان مثل هذا ؟

كيشـــــــوت : عندك حق، لكنى أراهن على أن كاترينا هذه تملك عيناً على الأقل تشبه تماماً عين دولسينا !

سانشـــــــو : ربما ، لكن لا داعى لإضاعة الوقت من أجل عين واحدة..

كيشـــــــوت : عين من عينى دولسينا تساوى الدنيا كلها!" **يتجه ناحية كاترينا** " كاترينا الحلوة! "**مستغربة تنظر إلى كيشـــــــوت** " هل تحبينه حقاً هذا الحيوان.

العريـــــــس : دادا ، دادا ، عاد مرة أخرى..

المـــــــرأة : هل ينبغى أن نخرجك بالأحذية! أم ماذا ؟

كيشـــــــوت : إذا قالت أنها تحبه سأخرج فوراً..

سانشـــــــو : هذا واضح يا سيدى تماماً ، واضح على وجهها هذه الأمور تظهر ، هيا بنا!

كيشـــــــوت : هل تحبين هذا الرجل؟

كاترينـــــــا : طبعاً يا سنيور الفارس ما دمت سأتزوجه.

كيشـــــــوت : هذا سبب غير كاف.

العريـــــــس : يكفينى أنا سيدى..

الجميـــــــــع : " **يتجهون ناحية دون كيشوت** " ياله من حيوان حقـاً. مزعج ومقـزز وتريد أن تفسد كل شئ.. لتذهب إلى الشيطان

سانشـــــــــو : لا داعى لمزيد من الشجاعة يا سيدى.. هؤلاء الناس لا يستحقون ذلك.

كاترينـــــــا : شوت!" **الكل يترك دون كيشوت بعد أن تكاثروا عليه** " أرفض أن يخطئ أحد فى هذه الليلة مهما كان السبب وبالذات مع هذا الرجل.

المـــــــرأة : لكن هذا الرجل يا بنيتى..

العـــــــروس : هذا الرجل مشغول بسعادتى! وأنا أشكره على شعوره وأطلب منكم جميعاً أن تشكروه ! وأنت أولهم" **للعريس** " مع أنى لا أعرفه" **لدون كيشوت** " إبق يا سنيور.. لقد إخترتك شاهداً على عرسى..

كيشـــــــوت : شاهد على عرسك، شاهد! " **يدخل الكاتب أو موثق الزواج** "

العريـــــــس : آه! تعال يا سيدنا بسرعة" **يجرى الكاتب** "

الكاتـــــــب : تعالى يا سنيورة، هاتى يدك! ويدك أنت أيضاً يا سنيور." **الكاتب يشبك يديهما وهنا يدخل مسرعاً راعٍ يرتدى ثوباً من جلد الخراف**"

الراعـــــى : إنتظروا انتظروا لا تتعجلوا، كل شيء لم يعرف بعد! كاترينا تعرف جيداً.. يعيش! يعيش أغنى الأغنياء! يعيش أطول وأسعد السنين مع الخائنة كاترينا! ويموت الفقير من نزع الفقر جناحيه" **يسحب سكينه ويوجه ضربة إلى صدره ويسقط".**

الجميـــــع : هيه!

العـــــروس : " **تجرى نحوه** " مجنون! لماذا فعل هذا ؟

كيشـــــوت : " **يجرى نحوه** " مازال حياً !

الراعـــــى : ليس أكثر من أن تضع كاترينا يدها فى يدى؟ **"تضع يدها فى يد"** وحتى أموت مطمئناً دعى الكاتب يزوجك منى!

العريـــــس : دادا، أترين المقالب، يريدون أخذها منى.

كيشـــــوت : الرجل يموت ولا بد أن نحقق رغباته، على كاترينا أن تقرر

العـــــروس : أوافق طالما هذه رغبتك. **"الكاتب يقرأ على يديهما المتشابكتين وهنا ينهض الراعى ويقف على قدميه"**

الجميـــــع : معجزة! معجزه! معجزة!

العريـــــس : غش! خداع!" **يسحب السكين من يد الراعى**

ويكسره " سكين من الكرتون! دم مسرح! موت مسرحي! تعالى هنا يا كاترينا!

العـــــروس : ما حدث، حدث، ولقد قلت كلمة وانتهى الأمر، لم أعد لك، أنا له.. وتذكر أن أبى هو الذى دفعنى للزواج منك طمعاً فى أموالك أما الراعى الفقير فهو الذى أحبه.

كيشــــــوت : " **موجهاً كلامه للعريس** " أنت غنى وتستطيع أن تشتــرى كل شىء فى أى وقت، أمــا الراعى ففقير، ليس له غير هذه الحمامة.

العريـــــس : دادا، أقتليهم جميعاً، جميعهم ضدى، جميعهم كانو متفقين ضدى، وكانوا يقومون بتمثيلية..

كيشــــوت : لا يستطيع أن يفرق بين إثنين متحابين غير الموت.. هيا إذهبوا جميعاً وتذكروا دائماً معجزة دون كيشــوت دولامانشا، تستطيعون أن تسموه الآن فارس المعجزة!

الراعــــــى : سأذكرك دائماً وكل خرافى سترتد إسمك.. وكل منكم مدعو فى عرسى ولكن لن تأكلوا غير الخبز والجبن." **الموسيقى تصدح من جديد والجميع يبدأون فى الخروج.**

إظلام على العريس والدادا

زئيــر مــروع لأســد يوقف دون كــيــشــوت وسانشـــــو وهما يخرجان. من الناحية الأخرى يدخل رجلان يدفعـان شـاريو مـحـاطاً ببيارق ملونة على الشاريو خزينة مزركشة. زئير جديد"

كيشـــــوت : من منكما يزأر بهذه الطريقة؟

الرجل الثانـــى : الثالـــــث.

كيشـــــوت : أين هو؟

الرجـــل الأول : " **يشير إلى القفص**" بالداخل " **زئير**"

كيشـــــوت : ماذا بالداخل؟

الرجل الثانـــى : قطة صغيرة!

كيشـــــوت : هل تعلم خطورة المزاح عندما أكون جاداً!

الرجـــل الأول : " **للثـــانى** " يبـــدو أنه لا يضـــحك أبداً!" **لكيشـــــوت** " هذا أسد يا سنيور، حاكم الهند بعث به للملك.. ومـا يؤكـد هذا بيـارق الملك التى تراها!

كيشـــــوت : أسد؟ كيف؟

الرجـــل الأول : جائع! ومفترس!

كيشـــــوت : كل الأسود بالنسبة لى أشبال!

الرجـــــل الأول : تقول!

كيشـــــوت : إفتحا الباب!

سانشـــــو : " **بينما الرجلان مندهشان،** وسانشو **يضحك ضحكة حزينة** " هئ!هئ! هئ ترون جيداً أن سيـــــدى يمزح " **الرجلان يضحكان بطريقة سانشـــــو**"

كيشـــــوت : ماذا تفضلان؟ تفتحان هذا القفص أم أجهز عليكما؟ اختارا بسرعة!

الرجل الثانـــى : " **لسانشـــــو** " دائماً ما يمزح هكذا؟

سانشـــــو : سيدى السنيور.. لنترو قليلاً لو سمحت.. هذا الأسد يملكه الملك؟ صح؟ إذن لا يصح أن نفتح القفص.

الرجـــــل الأول : هذا صحيح، أما إذا أخرج الأسد فسنواجه مشكلة إعادته مرة أخرى.

الرجل الثانـــى : فضلاً عن المـوت الراقد فى أنيابه!

كيشـــــوت : صحيح؟

الرجل الثانـــى : أؤكد لك أنه لا توجد حقيقة أكثر من هذه!

كيشـــــوت : وهذا ما يقنعنى أكثر.

سانشـــــو : حمداً لله، هيا بنا إذن.

كيشـــــوت : ويقنعنى أكثر أن تفتحوا القفص!

سانشـــــو : هذا جنون يا سيدى!

كيشـــــوت : لا يا سانشـــــو هذا منتهى العقل! بعد أن عـــادت الحـــيـــاة للراعى لا بد أن أواصل الطريق.. حلت الساعة التى أقاوم فيها الموت وأقهره، ومادام موجوداً فى أنياب هذا الأسد، إذن لا بد أن تفتحوا باب القفص.

الرجـــل الأول : " لسانشـــــو " أجب وبصراحة، سيدك مجنون

سانشـــــو : هو يقول لا..

كيشـــــوت : ينبغى أن أقسم أحدكما نصفين حتى يطيع الآخر أوامرى؟

الرجل الثانـــى : يا سيدنا نحن نفضل الحياة؟

كيشـــــوت : لا تساوى شيئاً.

الرجـــل الأول : ممكن، لكن ليس بيدنا شئ آخر!

كـيـشـــــوت : طيب، إنتظر وسيـريـكمـا تابعى كـيف تـكون الشجاعة!

سانشـــــو : أنا.. الشجاعة!

كيشـــــوت : أنت.. يا سانشـــــو! إنى أمنحك شرف فتح باب قفص الأسد!

سانشـــــــو : أكرمك الله يا سيدى.. لكنك تعلم إلى أى مدى أنا خجول؛ ولا أستحق هذا الشرف.. ولا داعى لأن تخجل تواضعى وطبيعتى وتمنحنى كل هذا الشرف؛

كيشـــــوت : هيا؛

سانشـــــــو: " **وهو يقترب من الشاريو مرتعداً بينما الرجلان مبهوتان** " يـا سانشــو؛ إنك تصل إلى أعماق الجبن الآن..وليست لديك القدرة حتى على رفضه" **يدور حول القفص** ".

الرجل الثانـــى : وبالمناسبة يا عزيزى لكى يفترس أسد ما إثنين من المؤمنين فإما أن يحبهما أو يكرههما.

الرجـــل الأول : الأسد وحده هو الذى يستطيع أن يجيب، لكنى لا أهتم بسؤاله.

سانشـــــــو : "**وقد استقر عند الباب** " تيريـــز، زوجتى، أبنائى الصـغـار.. عـائلتى العـزيزة إذكـروا دائمـاً أن سانشـــــــو كـان طيب القلب وكـان يحبكم جميعاً " **زئير** " ماآآآ؛

كيشـــــوت : افـتح؛" **سانشـو يغلق عـينيـه ويفـتح بكل قـوته الترباس الذى يفتح دفعة واحدة. صمت. كيشوت ينزل من على جواده ويتوجه ناحية القفص المفتوح. ينظر إلى داخل القفص**"

كيشـــــــوت : هيه، سنيور الأسد، إنى آمرك بالخروج" **صمت** "
إطلع" **صمت** " أنا السنيور دون كيشـــوت دولامانشا
فارس المعجزات أتحداك أن تخرج هيا! هل تسمعنى؟"
ببطء قاس يخرج الأسد رأسه من القفص. سانشــو
يطلق صرخة. رأس الأسد ترتفع نحوه ".

سانشــــــو :" **يحار بين دون كيشوت والأسد، يتخبط بينهما**
ويخطئ فيهما " أسف. يا سيدى الأسد. لكن..
سنيور المعجزات هو ليس أنا! " **الأسد يدير رأسه**
ناحية دون كيشوت "

كيشـــــــوت : عظيم يا سنيور الأسد. الموت فى أنيابك على
ما يبدو؟ أرنى إياه من فضلك." **دون كيشوت**
يبتعد عن القفص، الرمح أمامه وينتظر خروج
الأسد.. لكن الأسد يختفى تماماً داخل قفصه. دون
كيشوت يعود إلى القفص ويطلق صرخة هائلة".

سانشــــــو : أعتقد يا سيدى أنه مادام لم يخرج حتى الآن
فلن يخرج أبداً. ومع هذا فلا يوجد أى شجاع وقف
ينتظر عدوه كما تفعل أنت، لقد أعطيته الفرصة
كاملة، لم يعد يستحق الإنتظار! أغلق الباب؟ هيا
بنا!" **سانشــو يغلق الباب فى خوف شديد"**

كيشـــــــوت : عندك حق! أغلق الباب يا سانشو!" **للرجلين**" لا أريد منكم أكثر من الإعتراف بالحقيقة، بما حدث، وهو أن تابعى فتح القفص، وداخل القفص يوجد أسد، وداخل الأسد يوجد الموت. وإنى انتظرهما الأسد والموت لكى أقهرهما، فلم يخرج أحد، إختفى الإثنان وناما داخل القفص، وأرجو أن تعلنوا أن إسمى الآن " **فارس الأسد** " كما لقبت من قبل بفارس المعجزة.

أحدهمـــــا : حاضر يا سنيور، كل طلباتك، لا تخش شيئاً! **"موسيقى كرنفال"**

كيشـــــوت : ماهذا يا عزيزى سانشـــو؟ هل ترى ما أراه؟

سانشـــــــو : تريد الحق، أنا لا أرى جيداً، إسمح لى أن أضع بعض الماء على عينى.

كيشـــــوت : إبق هنا! إنتظر!

الرجـــــل الأول : يقول لتابعه إنتظر، أفضل لنا أن نهرب" **ثم يدفعان الشاريو خارج المسرح"." يدخل إلى المسرح فى نفس الوقت مجموعة غريبة تتكون من مارد، وملاك بجناحين كبيرين من الكرتون الملون. ومهرج وفـــتـــاة بوهيـــمـــيـــة وشـــخص له رأس المــــــوت".**

كيشـــــوت : سانشـــو! المـوت لم يكن فى أنياب الأسد!

سانشـــــو : ليته كان موجوداً، لانتهينا من ذلك؟

كيشـــــوت : " **يقف أمام المجموعة ويقطع عليها الطريق، ثم يتوجه إلى الموت** " أنا آسف أيها الموت المسكين الجبـان. عـمومـاً هؤلاء هم شهـود المعـركـة التى ستـدور بيننا الآن!

المـــــوت : " **وهو شخصية نسائية** " إذا كنت تريد أن تسميهم هكذا، فلا مانع!

كيشـــــوت : أى سلاح تختار؟" **الكل يضحك** " لو لم تكن امرأة لأطرت رقبتك لكن هذا ليس من طباع الفرسان. تظن أنك قوى، لكن احذر، لست مثل سائر المـــوتى، لقد قـــررت أن أرحم الناس من إيذائك ومـصـــائبك وأن أميتك أنت.

المهــــرج : " **يدور حول كيشـــــوت** " أنظر.. أنظر.. ألست السنيور دون كيشــوت دولامانشا؟

كيشـــوت : آه! آه! يبدو أنهم يعرفوننى!

المـــوت : طبعاً نعرفك يا سنيور المعجزة!

كيـشـــوت : وأيضـاً سنيـور الأسـد لو سـمـحت.. إختـبر السـلاح بسرعة!" **الموت والمارد والمهرج والملاك والبوهيمية يتداولون**"

المـــــــــــوت : الطاعون والكوليرا والأنفلونزا..

المهـــــــــــرج : أو حجر كبير على رأسه!

المـــــــــــارد : أو يسقط فى غلاية ضخمة!

المـــــــــــلاك : أو تطلع روحه من جسده بالسر الإلهى!

المهـــــــــــرج : أو يموت من الضحك!

البوهيميـــــــة : أو بسهم الحب!

المـــــــــــوت : نعم، بسهم الحب فى قلبه! هلمى يا ابنتى!

"البوهيمية تقترب من دون كيشوت وهى تغنى"

البوهيميـــــــة : يا فارس أحلامى.. يا أشجع الفرسان.. يا أطهر الفرسان!أنت الذهب العربى الصافى.. وأنت العنب الصافى.إسمع غنائى، أنا المشدودة لشمس عينيك أحلم بى إلى جوار فراشك.. أداعب رأسك وأداعب مجدك يا أعظم من نيرون وحرائقه أنا العذراء أملى أن أداعب قدميك.. وأنام كما الوصيفة إلى جانبك وأجرح قلبك بسهم الحب الخالد!

كيشـــــــــوت : جهد ضائع يا مغنية المـوت! لدىّ دولسينا المنقوشة على روحى.. لا أحد يستطيع أن يمسحها.. تراجعى! وأنت أيها المــوت جرد حسامك ليس لدى الوقت لهذا الهذر!

المــــــــوت : ليس لدى حسام يا فارس الفرسان. فى الواقع لم أكن أعلم أنى ســأنازل اليــوم السنيــور دون كيشوت.. مهرجى يا عقلى وأفكارى ألا تجد شيئاً توحى لى به!

المهـــــرج : هيه! لم تكتب هذا على لوحة المواعيد!

المـــــــارد : حتى أنا لم أعد أى مكان فى الجحيم!

المـــــــلاك : الموسيقى أيضاً ليست على استعداد لعزف لحن المـوت الجنائزى.

المــــــــوت : إذن لم يحن الوقت بعد أيها السنيور الفارس!

كيشــــــوت : ليس لديك حسام، طيب" **يلقى رمحه** " نبارز إذن بالأظافر والأسنان يا أيها المـوت! هيا!

المــــــــوت : طيب.. مادمت تريد ذلك. لكنى أطلب منك أن تؤجل المعركة لدقائق فهناك أمر عاجل علىّ أن أقـوم به.. ولاً يرضـيك إلا أن ألبى النداء!الأمـر متعلق بأغنى الأغنياء الذى عطل عرسه معجزة أخرى.

كيشــــــوت : أغنى الأغنياء! عرسه! معجزة!

المــــــــوت : نعم! هل تعرفه! كل ثرائه لم يستطيع أن يجلب له السعادة. وأنا فى هذه الحالة الوحيد الذى يستطيع

أن يخلصه من شقائه. سأذهب وأعود مرة أخرى!..

كيشـــــــوت : إنتظر.. سأنقذه أنا كما أنقذت غريمه، رغم أنى أقف مع الفـقـر وليس مع الغنى.. لكن إذا كـان اليـأس يدق على باب الغنى فـلا بد أن أدافع عنه أيضـاً.. الزواج لم يكن عـادلاً كـمـا أن المـوت لن يكون عدلاً بالنسبة للغنى.

المـــــــوت : أووه! العدل شيئ إنسانى بحت.. المـوت أيضـاً لا بد أن يعيش هيا بنا أيها الأصدقاء هيا بنا..

كيشـــــــوت : " **يتناول رمحه** " لكن البروتوكول يحتم علينا أن ننتهى من معركتنا.. معى رمحى ومعك أظافرك.. دافع عن نفـسك." **دون كـيـشـوت يهـجم على الجميع"**

المهـــــــرج : مهلاً، لا تحول الضحكات إلى دموع!

كيشـــــــوت : ضحكات!

المـــــــلاك : المسرحية إنتهت ــــ وفريق المـوت إنتهى من الدور الذى كـان يحـفظه، لم يعـد هناك حـوار آخـر.. **"للموت"** إكشف له عن السر!

المـــــــوت : نحن أعضاء فرقة مسرحية يا سنيور، وكنا فى طريقنا إلى حفل أغنى الأغنياء للمشاركة فيه.

المهـــــــرج : ولم يكن هذا لطيفاً، أن تضيع علينا طعاماً شهياً ونحن نتضور جوعاً.

كيشـــــــوت : يعنى أنت لست المـوت!

المـــــــوت : وإذا كنت لا تصدق" **يخلع القناع فـيبـدو وجـه دولسينا الجميل** ".

كـيشــــــوت : عليكم اللعنة، أرتيست من الدرجـة الثـالـثـة وتضعين قناع دولسينا على وجه الموت !

المـــــــوت : عمن يتكلم؟

المــــــــارد : من هى دولسينا ؟

كيشــــــوت : صمتاً! لقد زادت اللعبة عن حدها ، كفى! إنزعى قناع المـرأة.. قناع دولسـينا واظهـرى حـقيـقـتك.. الموت الذى على أن أميته!

المهـــــــرج : ماهذا! هذا جنون! مجنون، مجنون!

الجميـــــــع : مجنون! مجنون! مجنون!" **الممثلون يخرجون وهم يهرولون، يتصايحون بهرجلة شديدة جداً**"

كـيشـــــــوت : إركب ورائى يا سـانشـــــــــو، علينا أن نلحق بهؤلاء المهــــــــرجين.

سانشـــــــو : مهلاً يا سنيور.

كـيشــــــوت : تعـتـقد أنى أسـتطيع أن أترك المـوت ينتـحل شخصية دولسينا بهذه الطريقة.

سانشــــــــو : لقد فعلت كل ما تستطيع يا سيدى، عموماً أنت تقابل المــوت فى كل وقت.

كيشــــــوت : صحيح هرب المــوت.. وكنت سأنسى أمجادى.. فارس المعجزة، فارس الأسد والآن فارس المــوت.. لنذهب إلى دولسينا لأضع هذه الألقاب العظيمة تحت قدميها.. قبل أن تزيد هذه الألقاب وقبل أن أنسى نصفها.

إظلام

" فى مقدمة المسرح فى أحد جانبيه مجموعة من القرويين رجال ونساء يستمعون إلى الرجلين اللذين كانا يدفعان شاريو الأسد"

الرجــــــل الأول : وعندما شاهد الأسد الفارس طأطأ رأسه خجلاً ولم يجرؤ على الخروج من القفص!

الرجل الثانــــــى : وظل الباب مفتوحاً لمدة طويلة تكفى لخروج ثلاثين أربعين أسداً..

الرجــــــل الأول : ماذا أقول لك، هذه شجاعة نادرة!

رجـــــل فــــــردى : يعيش الجبن الذى يدعو الناس إلى عدم إخراج الأسود من أقفاصها.. ففيما يفيد إخراج الأسود من أقفاصها؟ **دون كيشوت وسانشو،**

الأول على جواده، والثانـــــــــى على حماره، يظهران تحت بروجكتور من الجانب الآخر".

كيشـــــوت : " **وقد نظر إليه الجميع** " وفيما يفيد استخراج الذهب من الأرض وهو أخطر من الأسـود؟ فـيـمـا تفـيـد السـخـرية مـن الضـعـيف وكـراهيـة الأخ والغش فى مـيـزان العـدالة، والخـضـوع لحـاكم والتـراجع أمـام المتــجـبـريـن والخـوف مـن أى شئ هل أســتطيع أن أسألكم يا إخوانى أين قصر الأميرة دولسينا؟

رجـــــــل : لا يوجد هنا قصر ولا أميرة ولا دولسينا.. إلا إذا هبطت من السماء الآن.

كيشـــــوت : " **لسانشـــــو**" أتسمع يا سانشـو؟ لا تقل هذه المرة أنى أستفزهم.

سانشـــــو : لماذا تستفزونه؟

كـيـشـوت : ألا ترى أنـهم مـحـرضـون ويريدون منعى من رؤية دولسينا!

سانشـــــو : لا أعتقد، هدئ من روعك قليلاً.

كيشـــوت : لا يمكن أبداً.. دعنى.. تراجعوا يا سفلة وإلا علمتكم كيف أهزم الأسود وأصنع المعجزات وأميت المـوت!

امـــــــرأة : " **لزوجها** " هيا بنا إلى الداخل.. فهذا هو وقت تناول الطعام.

الرجـــــــــل : وقت تناول الطعام ووقت الشئ الآخر، علينا أن ننام وعليك أن تنجـبى بسـرعـة إبنة نسـمـيـهـا دولسينا." **كل القرويين يخرجون وهم يضحكون. يبقى رجل واحد يرتدى روباً وقبعة من القش، إنه أحد الدوقات".**

الـــــــــدوق : هذا إنكار للجميل يا سنيور دون كيشـــوت!

كيشـــــــوت : من أنت؟ وكيف عرفت إسمى؟

الـــــــــدوق : تبحث عن الشهرة وتعجب عندما تلاحقك؟

كيشـــــــوت: سانشـــو! ساعدنى على النزول! سانشـــو يجرى ليعاون كيشـوت على النزول من فوق جواده"

كيشـــــــوت : سيدى الدوق، الحظ السعيد هو الذى وضعنى فى طريقك أم وضعك فى طريقى؟

الـــــــــدوق : قل أنك جئت وكنت أنا فى إنتظارك.

كيشـــــــوت : كنت فى إنتظارى؟

الـــــــــدوق : هذا هو حال الدنيا أحياناً نعتقد أننا وحدنا والحقيقة أن هناك من هم فى إنتظارنا..

كيشـــــــوت : لا أخفى عليك، رغم أن هذا يشرفنى، كنت أفضل أن أجد دولسينا فى إنتظارى!

الـــــــــدوق : هذا ما حدث بالضبط، دولسينا زوجتك تنتظرك فى قصرى.

كيشـــــوت : قصرك؟ لماذا فى قصرك؟ وكيف فى قصرك؟ ومنذ مـــتى فى قـــصـــرك؟ ولماذا لم تنتظرى فى قصرها؟

الـــــــدوق : هذا ما كانت ستفعله لو لم تضطر إلى الهروب فى قصرى

كيشـــــوت : أفـهم من هذا أن أحداً حـاول الإعـتـداء على قصرها؟

الـــــــدوق : وأى عدو يا سنيور! ساحر أراد أن ينتقم منك فى شخصها

كيشـــــوت : وما اسمه؟

الـــــــدوق : يا إلهى، أعرفه ولكن..

كيشـــــوت : تعرفه.. ولا كلمة أيها الدوق، إصحبنى إليها.. حيـاتى كلها لا تكفى للإعـتـذار عن عدم وجودى وقتها للدفاع عنها

الـــــــدوق : دقيـقة واحدة لوسمحت.. لا بد أن أصف لك الحالة التى ستجدها عليها.

كيشـــــوت : ماذا تريد أن تقول؟

الـــــــدوق : الساحر غير معـالمها تماماً، لدرجة أنك عندما تراها لن تعرفها.. لن تصدق عينيك..

كيشوت : لا أصدق بعينى أبداً يا سنيور.. إنما بروحى. وهذا ما يجعلنى أعرف الحقيقة.

الدوق : فى هذه الحالة نذهب إليها.

إظلام

" ضحكات نساء. إضاءة على براتيكابل تجلس عليه ثلاثة وهن يضربن الطبل: الدوقة والوصيفة والخادمة".

الوصيفة : " **وهى تضحك** " هذا الدوق دائماً ما يخترع أشياء من هذا النوع!

الدوقة : فرصة عظيمة، عندما علمت أن هذا المهرج وصل إلى القرية أنا التى قلت لزوجى أدعه لزيارتنا.

الخادمة : تعتقدين أنه سيخدع إلى هذا الحد؟

الدوقة : وأكثر من هذا كما يقولون.." **ضحكات النساء الثلاث. خادم يدخل وهو يلعن"**

الخادم : السنيور دون كيشوت دولامانشا فارس المعجزة وفارس الأسد وفارس الموت.

الوصيفة : ما هذا؟ أهم أربعة أم ماذا؟

الخادم : كلا، واحد فقط لكن فى رأسه أربعة، ومن الممكن

أن يكون مائة لو أراد. " **ضحكات النساء. دون كيشوت يدخل يتبعه الدوق. كيشوت يندفع نحو الوصيفة ويسقط على ركبته أمامها".**

كيشوت : دولسينا! آه! لا تبكى على قبحك صديقتى الرقيقة! سأعرف كيف أمحو سحر هذا الساحر القادر.. لكن مهما فعل ومهما إنتزع منك صفات البشر فأنت دائماً نور الشمس بالنسبة لى.

الوصيفة : هيه! أين أركله بالضبط؟

الدوق : " **يكتم ضحكته** " إنها ليست دولسينا يا سنيور..

كيشوت : " **يقف وينظر إلى الدادا** " صحيح، يعنى هذا الساحر لا ينوى إرتكاب جرائمه المماثلة مع البشر!" **الوصيفة تخرج. الدوقة والدوق يضحكان".**

الوصيفة : " **وقد أحست بفضيحة**" هوه! إسمحى لى أن أنصرف قبل أن يقتلنى الغضب.

الدوقة : إنها إحدى وصيفاتى أيها الفارس! يقولون أنك أشهر فارس شجاع فى عصرنا.

كيشوت : هذا صحيح، كلام صحيح، لدرجة أنى أعتبر نفسى نموذجاً.

الدوقة : يتكلمون عنك كثيراً فى المدينة.

كيشوت : ممكن، استحق..

الدوقة : هذا شرف عظيم أن تقبل تشريف قصرنا..

كيشوت : ممكن تنتهزى الفرصة لأنى أمر فقط.. أرجوك أيها الدوق أن ترى سيدتى دولسينا." **الدوق يشير إلى الخادم الذى يضرب على نحاسة يتردد صداها فى الكواليس. تدخل امرأة مغطاة بطرحة تتبعها خمس خادمات يلبسن طرحاً واثنان منهن يمسكن المرأة يسندنها".**

كيشوت : أوه! الفضيلة الوحيدة فى هذا العالم! قوة ذراعاى! سند شجاعتى! أنت فى النهاية! دولسينا، دولسينا! لا أعرف كيف أصبح شكلك تحت هذا الغطاء لكنى أحس أن الساحر قد أتى بأفعال مشينة على ما يبدو ولكن لا أعتقد أنه فعل ما يستعصى علىّ إصلاحه! ولا شئ فى هذا العالم يمكن أن يخرجك من قلبى يا حياتى، ولهذا لا تخشى شيئاً يا شعلة وجدانى." **الدوق يأتى**

باشارة، الخادم يضرب على النحاسة بتنغيم. الخادمات يقتربن من المرأة ويرفعن الغطاء. يظهر رأس لرجل مسن ولحيته السوداء الكثيفة. يبقى دون كيشوت مسمراً فى مكانه".

الدوق : هيه، ما رأيك يا سنيور! قل شيئاً.

كيشوت : سيدتى. ها.. سيدى.. أنا.. لا.. مستحيل" **للدوق** " إنها كارثة يا سيدى الدوق! ربما كانت غلطة ودولسينا امرأة أخرى من هؤلاء!" **يقصد الخادمات** ".

الدوق : أنت الذى يمكنه معرفة ذلك.. كما تقول! " **الدوق يأتى باشارة. الخادم يضرب على النحاسة. الآخريات يرفعن الطرح.. فتظهر رؤوس خمسة لخمسة رجال بذقون".**

كيشوت : ما معنى هذا؟

الدوق : معناه أن الساحر لم يكتف بتحويل زوجتك إلى رجل، لكنه حول أيضاً كل وصيفاتها إلى رجال!

دولسينا : " **بصوت فيه لثغة** " سيدى البطل، أنت هنا لاشئ آخر يهم.. ما قيمة الذقن التى نبتت لى. الشكل الذى أصبح عليه وجهى.. أنت هنا

تؤكد لى حبك، فأحس أنى جميلة كما كنت.. تعال يا فارسى، تعال بين يدى." **تمد ذراعها لدون كيشوت "**

الدوقة : لا داعى للخجل يا سنيور الفارس، لا تنزعج من وجودنا بالعكس هذا شئ يسعدنا..

كيشوت : لقد صنعت معجزة وهزمت الأسد وقتلت الموت

دولسينا : صحيح يا سيدى.. تعال الآن خذ مكافأتك منى!

كيشوت : أى مكافأة يا سيدى.. هيه.. يا سيدتى.. لننتظر تتويج الإنتصار الكامل فلازال أمامى عمل كبير وصعب.

الدوق : ألم تقل لى أنك ترى بروحك؟

كيشوت : طبعاً! حدث! إنها دائماً ما تسبقنى" **لدولسينا** " سيدى.. هيه.. سيى.. قبل شخصى أبعث إليك بروحى.. إحتضنيها كأنك تحضنينى." **ضربات على النحاسة. يدخل رجل بملابس الفلكى. محاطاً بأربعة فلكيين آخرين يحملون مشاعل".**

الفلكى : هاللو! سنيور يزم، دوقيزم، أستطيع أن أصدق الجبريزم الذى أخبرتنى به النجوميزم؟ دون كيشو تيزم سيكون هنا.

الـدوق : من أنت؟ وبأى صفة تدخل قصرى دون استئذان؟

الفلكـى : أنا أشهر فلكيزم هنا.. أحمل رسالة للسنيور دون كيشو تيزم من الساحر يزم.

كيشـوت : رساليزم.. أقصد رسالة.. بأى وجه يراسلنى هذا الخائن؟

الفلكـى : يريد أن يبارزك وجهاً لوجه يا سيديزم!

كيشـوت : أخيراً! سنتقابل أيها الشيطان!

الفلكـى : وسعادتك ستتضاعف لأن ثمرة انتصارك عليه ستكون عودة الجمال لدولسينا.

كيشـوت : " **لدولسينا** " إذا كان الأمر كذلك، فصبراً جميلاً يا حياتى" **للفلكى** " أين الساحر الملعون فى هذه اللحظة بالذات؟

الفلكـى : فى مملكته!

كيشـوت : أين؟

الفلكـى : فى النجوم!

كيشـوت : أتسخر؟

الـدوق : ألا يقولون دائماً أن السحرة يسكنون بأعلى؟

كيشـوت : أيها الدوق، من أجل حبى لدولسينا إفعل كل

شئ، لكن حكاية الصعود إلى النجوم هذه، يخيل إلى أنها فوق طاقة الفرسان!

الفلكـــــــــى : أليس لجوادك جناحان يصعد بهما للنجوم؟

كيشـــــــوت : ماذا تريد أن تقول، جوادى هو الذى سيوصلنى إلى الساحر؟

الفلكـــــــــى : لو كان له جناحان؟

دولسينـــــــا : " **بصـــــــوت أكثر انخفاضاً** " أوه يا فــارسي! انزع ذقنى وأنا أمنحك كل سـعــادة العالم!

إظلام

" إضـــاءة على براتيكابل يقف فـــوقـــه سانشــــــــو مقبوضاً عليه من اثنين من الخدم".

الخـــــادم الأول : هيا، تكلم بصراحة، بيننا وبينك.

سانشـــــــو : لا يوجد بينى وبينكما..

الخادم الثانـــــى : خادم لخادم..

سانشـــــــو : أنا لست منكم..

الخـــــادم الأول : إعترف أن سيدك مجنون!

سانشـــــــو : إذا قلتما ذلك سأقول سيدكم أعرج!

الخادم الثانـــــى : لو أنه كذلك لقلنا.

الخـــــادم الأول : يبدو أنك مجنون مثل سيدك!

سانشـــــــو : إحذرا فيمكننى الآن أن أدافع عن اثنين هو وأنا!

الخادم الثانـــــى : هيه، يريد أن ينازلنا!

سانشـــــــو : ونازلت غيركما كثيرين!

الخـــــادم الأول : ألا ترى كرشه!

سانشـــــــو : احذرا سأفتح كرشيكما!" **يقتربان منه** " من اقترب منى قتلته!

الخادم الثانـــــى : عظيم نحن نبغى المـوت..

الخـــــادم الأول : وسنرى من منا سيموت؟!" **الخادمان يبرحان سانشـــــــو ضرباً** "

سانشـــــــو : النجدة! النجدة! سيدى! العمالقة يضربوننى! تعال ساعدنى حتى أصل إلى جزيرتى.

الـــــــدوق : " **يدخل** " وما هذا أيضاً؟ تحولون قصرى إلى ساحة معارك؟!

سانشـــــــو : ألف عذر يا سيدى.. حاشيتك تريد أن تدفعنى دفعاً إلى القول بأن سيدى مجنون!

الـــــــدوق : " **للخدم** " إنصرفا فوراً..ألا تتطاولون إلا على خيرة ضيوفى" **يخرجان** "

سانشـــــــو : شكراً على اعتبارنا خير ضيوفك!

الـــــــــدوق : هذه هى الحقيقة" **يستدير ناحية الكواليس** " تعالو جميعاً ها هو التابع هنا!" **الدوقة تدخل تتبعها أميرات وأمراء والجميع يضحكون"**

الـــــــــدوق : أقدم إليكم وإليكن السيد سانشــو أخلص تابع لأشــهــر فــارس." **الجــمــيع يضــحكون. سانشـــــــو مبهوتاً تماماً"**

الدوقـــــــه : إقترب يا سيد سانشـــــــو لديك أشياء كثيرة بالطبع تقصها علينا.

سانشـــــــو : أين سيدى؟

الـــــــــدوق : لا تقلق! يستعد بالداخل لأكبر معركة سيخوضها فى حياته.

امـــــــرأة : تريد أن تحدثنا عنه.

سانشـــــــو : عنه، لكن ليس لدى شئ أقوله عنه.

رجـــــــل : قل إذن! وقد رافقته دوماً، أنت فى الواقع، ماذا أقول مؤرخه الرسمى.

سانشـــــــو : اعذرونى، أنا لا أعرف الكتـــــابة.

الدوقـــــــه : قل ولا تكتب، قل من ذاكرتك.

سانشـــــــو : انتصارات سيدى تعلن عن نفسها.. ليست فى

حاجة إلى من يتحدث عنها.

امـــــــرأة : هل وعدك حقاً بجزيرة؟

سانشــــــو : من قال ذلك؟

المـــــــرأة : هو نفسه..

سانشــــــو : ولماذا تسألينني إذن؟

الدوقـــــــة : تصدق إذن كل ما يقوله لك؟

سانشــــــو : لماذا تريدين فخامتك أن أصدق شيئاً آخر، إن لم أصدق ما يقوله!

رجـــــــل : قل لى يا سيد سانشـــــــو، ألم تلحظ أبداً أن سيدك يحارب فى الهواء بهذه الطريقة؟

سانشــــــو : وهل اعتدت أنت أن تحارب إلى جوار المدفأة؟"

ضحكات صفراء من الموجودين "

الدوقـــــــة : هل تنكر أو تستنكر أن كل ما يسمعه يصدقه؟

سانشــــــو : ولماذا أنكر؟ ولم أستنكر؟ لا يسمع إلا ما يقال له. فإذا كان ما يقال له كذباً فليس هو الذى يلام!

الـــــــدوق : بعض المتهورين.. الذين يبغون الضحك"

ضحكات عالية"

سانشــــــو : إذا كان هؤلاء المتهورون الذين يبغون الضحك

ما زالوا على وجه الأرض فمعنى هذا أن سيدى لم يخطر بباله..

المــــــرأة : وأنت يا سيد سانشو؟

سانشــــــو : أنا سيدتى، بخير، أشكرك!

المــــــرأة : أسألك ألم تلحظ أنهم يضحكون من سيدك!

سانشــــــو : لاحظت..

الرجــــــل : ومن هم؟

سانشــــــو : بعض الأغنياء الحثالة.. لا يستحقون الذكر ولا التــذكر" **صمت مطبق** "

الدوقــــــة : هيا يا سيد سانشو من أجلنا! إعترف أن مفاخر سيدك هى فى الواقع مهازل على الأقل..

سانشــــــو : ربما على الأقل.. لكن سنيور دون كيشوت وأنا نعيش على الأكثر!

الدوقــــــة : مثلاً!

سانشــــــو : أشياء كثيرة.. جزء من العدل هنا.. وجزء من الدفاع هناك.. خطأ نصلحه هنا.. حرية ننقذها هناك..

الرجــــــل : آه! عظيم.. المساجين مثلاً.. "**ضحكات عامة**"

سانشــــــو : إذن تعرفون مفاخرنا جيداً.. عموماً لقد قمنا

بها حتى يعرفها الجميع.. نعم بالضبط.. حررنا المساجين..

الـــــــــدوق : بالتأكيد كانوا أبرياء!

سانشــــــــو : أبداً.. كانوا مذنبين مائة فى المائة! ألا تعرفون أن هناك قدرة تقدر على تخليص المذنبين من عقابهم؟

الدوقــــــــة : المــــوت يا سيد سانشــو؟ ألا تعلم أنه حاربه أيضاً؟

سانشــــــــو : أعلم!" **ضحكات** "

المــــــــرأة : لكم أنت ساذج حتى أنك لا تعرف أن المــــوت هو الشئ الوحيد الذى لا تقدر على مقاومته؟

سانشــــــــو : ولماذا الطب إذن؟

الدوقــــــــة : السنيور دون كيشـــوت ليس طبيباً!

سانشــــــــو : حقاً، لكنه دون كيشــــوت!

الـــــــــدوق : وإذا كشفنا لك سره يا سانشـــو؟ وقلنا لك أننا ضحكنا على سيدك؟ وأنه لا توجد دولسينا بذقن، ولا دولسينا نهائياً. وأننا ألفنا مسرحية حتى نعرف كم هو مجنون، ماذا تقول؟

سانشــــــــو : لا شئ.. هل تسمح لى أن أقول لك أن كل هذا

لا أهمية له على الإطلاق سيعرف سيدى كيف يجعل من كذبكم حقيقة.. وهذه الحقيقة ستتحول إلى واقع لدرجة أنها ستصبح حقيقتكم أنتم أيضاً.. وهذه قوته.. تقولون لا توجد دولسينا.. أؤكد لكم أنه سيجعل من واحدة منكن دولسينا.. وإذا أغلقتم عيونكم حتى لا تبصرونها، سأفتح أنا عينى وأصفها لكم. منذ لحظات حاول الخدم أن يجبرونى جبراً على القول بأن سيدى مجنون؛ لم أقل شيئاً؛ ولن أقول هذا لا أمامكم الآن ولا فيما بعد.. سيدى وأنا إثنان فى واحد، مثل ظاهر اليد الواحدة وباطنها.. إذا كان مجنوناً فأنا أيضاً مجنون.. هذا هو الوفاء.. وبما أن الوفاء صفة لا تثير الضحك فإن جنونى هو الآخر لا يثير الضحك. هكذا لا يمكنكم أن تضحكوا من سيدى الذى لا يقل ولا يزيد جنونه عن وفائى.. هذا ما يمكن أن أقوله لكم.. أما فيما عدا ذلك.. فإنى أرجو من فخامتكم أن تبحثوا عن شئ آخر تقتلون به أوقات فراغكم " **ضجر وضيق يسود المكان. ضربات على النحاسة وموسيقى عسكرية. يدخل**

الفلكي يتبعه الأربعة وهم يجرون حصاناً خشبياً مثل الذى نراه فى المراجيح".

الفلكـــــــى : قفوا كما أنتم! كل فى مكانه! ها هو السوبر، السوبريزم." **ضحكات عامة بينما الفلكيون الأربعة يثبتون الحصان فى وسط المسرح"**

الدوقـــــــة :" **تضحك حتى البكاء** " يا إلهى لا أستطيع أن أتخيل أن هذا الجواد يمكن أن يصعد إلى النجوم فإن لم يتمكن فيخيل إلىّ أن النجوم هى التى ستهبط حتى تراه.." **يدخل دون كيشوت.. الضحكات تنحصر"**

كيشـــــــوت : قالوا أن الجواد وصل، أين هو؟

الفلكـــــــى : " **يشير إلى الجواد الخشبى** " ها هو.

كيشـــــــوت : لا أرى غير جواد من خشب!

الفلكـــــــى : حقاً خشب! لكنه خشب.. خشبيزم.. خشب لا تجده فى الأرض ولو عشت ألف عام..

كيشـــــــوت : أى خشب هذا ؟

الفلكـــــــى : خشب جواد ، يا سنيور! خشب لا يظهر إلا فى النجوم..

كيشـــــــوت : " **يدور حول الجواد** " ليس له لجام ولا سراج!

الفلكـــــــى : ولماذا إذن؟ هو يعرف جيداً أين هو ذاهب.

كيشــــــوت : وماذا أفعل بعد ذلك؟

لفلكـــــــى : تقفز فوقه فقط..

كيشــــــوت : واضح أن المسألة لعب.. لكنى لن أضيع الوقت فى الشك.. وجدت فى الكتب أن الأشياء البسيطة يمكن أن تكون هى الأكثر أهمية! روملان مثلاً قسم الجبل نصفين بسيفه.

الـــــــــدوق : أتواجه الساحر يا فارس الفرسان بغير تابع؟

كيشــــــوت : حقاً! لا يعقل أن أقف أمام العدو كالمساكين الذين يدعون أنهم فرسان وهم لا يملكون تابعاً واحداً.. إقترب يا سانشـــو!

سانشـــــــو : سنيور.. سيدى.. لا بد أن يبقى هنا شخص يمثلك وأنت فى السماء..

كيشــــــوت : هيه! لا تشغل بالك! مهما كنت غائباً بجسدى فأنا حاضر بروحى! إركب فوق مؤخرته!

سانشـــــــو : لا لن أركب.. تعبت من ركوب حمارى، فهل أركب جواداً من خشب؟!

كيشــــــوت : ما هذا إذن؟ تجرؤ على رفض أوامرى وبشأن مهمة سننزع فيها ذقن دولسينا؟

سانشـــــو : اللعنة للدوق! لا أحب أن أنزع ذقن أحد. على كل أن ينزع ذقنه!

كيشـــــوت : اركب. وإلا أرسلتك إلى أعلى بركلة قوية..

سانشـــــو : إذن مؤخرته أفضل" **يركب** "

كيشـــــوت : أصدقائي! أخبروا دولسينا بأني لن أعود إلى الأرض إلا بعد أن أطهر السماء من هذا الساحر الملعون.. وبما أني سأخلصها من الذقن الدخيل وسأحمي كل السيدات من الذقون، أرجوكم أن تضيفوا إلى ألقابي فارس المعجزة، وفارس الأسد وفارس المـــوت وفارس الذقن !" **يصعد إلى الحصان أمام سانشو** "

الفلكـــــي : والآن وحتى لا تصابا بالدوار، أغلقا عينيكما.. **"كيشوت وسانشو يغلقان عينيهما بينما الحاضرون لا يغلقون عيونهم وينطلقون ضاحكين"**

الجميـــــع : الوداع سنيور دون كيشوت مع السلامة يا سانشو! الوداع! الوداع." **فترة صمت"**

كيشـــــوت : هل تشعر يا سانشو كيف نرتفع؟

سانشـــــو : هيه.. ليس تماماً ...

كيشـــــوت : توازن جيداً.. الفراغ تحت أقدامنا، هو السحاب..

سانشـــــــــو : فى الحقيقة قدماى على الأرض تماماً.. **النساء يحركن مراوحهن أمام وجهى كيشوت وسانشــو "**

كيشــــــــوت : طيب وهذا الهواء المنعش الذى يلفح وجهينا؟

سانشـــــــــو : حقاً.. كما لو كان باباً قد فتح فجأة.

كيشــــــــوت : باب الأبدية يا سانشــو.. العجب كله..

سانشـــــــــو : العجب! إنها الكلمة الصحيحة.. لأنه فيما عدا مسألة السحاب والهواء فنحن كما لو كنا لا نتحرك.

كيشــــــــوت : حقاً لم أصادف فى حياتى " ركوبة " مريحة بهذا الشكل، مع احتمال أن نكون على ارتفاع كبير جداً.

سانشـــــــــو : لا شك فى ذلك.

كيشــــــــوت : تماسك جيداً يا سانشــو وإلا وقعت من أعلى بصورة لا تتخيلها رهيبة حقاً!

سانشـــــــــو : آه! لا يا سيدى.. لا تفزعنى إذن! لا تفقدنى الشجاعة المحدودة التى وصلت الآن إلى قدمى..

كيشــــــــوت : تخيل كيف يرانا الناس فى أسفل، يبدون صغاراً ونبدوان صغيرين.

سانشـــــــــو : خصوصاً ذلك الدوق، أصبح نصف دوق

"يضحكان " الدوق يتململ. سانشو يهتز من الضحك فيرقى على دون كيشوت "

كيشوت : هيه! لا تمسك بى هكذا، سيختل توازنى.. ماذا ستفعل إذن عندما نصل إلى السماء الثانية ونصادف العواصف والبراكين.

سانشو : يا للكارثة.. رأسى كالعصفور لا يمكن أن يتسع لشيئين معاً.. دعنى فيما أنا فيه.

كيشوت : أليس هذا أفضل من وجوه النساء الكالحة أسفل؟" **النسوة يمتعضن وكل منهن تنظر إلى فارسها** " تنبه يا سانشو لقد وصلنا إلى السماء الثالثة، هل تسمع صوت العاصفة؟ تماسك جيداً!

سانشو : ليحفظنا المولى.. **"ينحنيان كما لو كانت هناك رياح عاصفة تهب عليهما بالفعل"** ما داموا لا يسمعوننا فلنمارس النميمة.

كيشوت : بالهمس يا عزيزى!فإذا كان صحيحاً أننا ونحن على هذا الإرتفاع الرهيب نرى بوضوح هيافات وتفاهات هؤلاء النبلاء فى أسفل.. الدوق الساذج والدوقة المجنونة والوصيفات الممسوسات..

سانشـــــــــو : والآخرين الذين لا يستحقون حتى الذكر، هؤلاء الذين لا يسمون!

كـيـشـــــــــوت : عـمـومـاً نـستطيع أن نقـول لهم كل هذا فى وجوههم عندما نعود!" **فى ثورة غضب يسحب أحد السـادة مـشـعـلاً على أحـد الفلكيـين ويقـربـه من وجهى كيشـوت و سانشـــو**" السماء الرابعة نحن نقترب من جهنم

سانشـــــــــو : أوه! أحس أن جزءاً من قدمى قد إحترق بالفعل!

كيشــــــــوت : الحقيقة لا أعرف أين ينبغى أن نتوقف، لأنى لا أعلم شيئاً بعد السماء الرابعة!

سانشــــــــــو : أوه! إذا هبطنا فى العدم والتهمنا هذا العدم، فلن يبقى منا شئ نخاف عليه.. ولهذا يمكن أن أفتح عيناً واحدة أرى بها أين نحن!

كيشــــــــوت : لا يمكن! بالعكس! أغلق عينيك أكثر من قبل! كلما أغمضنا عيوننا كلما رأينا ما حولنا أكثر.. إنظر إلى يسارك! إنهم الفرسان العظماء!

سانشــــــــــو : أنظر إلى يمينك! إنها سلالتى. هيه! جدى بانسا.. أنا سانشو.

كـــيـــشـــــــــــوت : الفـــارس جنكيـــز خـــان.. الفـــارس

سبارتاكوس..الفارس..

سانشــــــــو : هاللو عمى! مرحباً بك يا عمتى! سلاماً يا بنة خالتى.

كيشــــــوت : الركوبة سريعة لدرجة أنى لا أتمكن من النظر فى عيونهم..

سانشــــــــو : أو حتى نتوقف لتحيتهم.

كيشــــــوت : عموماً الجميع بخير.. حاذر يا سانشو، ها هو قصر عدوى يظهر! نوع من الجحيم، على أن أهبط!

سانشــــــــو : " **يعطس** " ررررا.. ررررا.. آه، النجدة! كما لو كان كلب يقرض فخذى.

كيشــــــوت : اركله بقدميك" **سانشــــو يضرب فى الهواء بقدمه** " وماذا بعد! الركوبة تمر أمام قصر عدوى دون أن تتوقف.. هيه، هيه، هش، قف!

سانشــــــــو : لن يسمع يا سيدى، إنه من الخشب.. حتى لو توقف الآن فلا فائدة فقد إبتعدنا عن قصر عدوك!

الـــــــدوق : برافو أسعد تمانى! إفتحا عينيكما أيها المهــــــرجان؟

سانشــــــــو : " **يفتح عينيه** " كما كنا" **الجميع يضحكون** " لم

تضحكون؟ ما معنى هذا ؟

الـــــــــــدوق : معناه يا سيدى الفارس دون كيشوت أن النصف دوق يرى أنك مجنون دوبل!

الدوقـــــــة : " **لسانشو** " وأنا أرى أن رأسك صغير لكن يمكن أن يملأ بكل سخافاتك.

المـــــــــرأة : لا يمكن أن يخدع إلى هذا الحد غير العبط أمثالكما!

سانشـــــــو : " **جانباً لدون كيشوت** " إن لم نكن قد صعدنا إلى أعلى، فقد سمعوا كل ما قلناه عنهم!

الـــــــــــدوق : هيا اهبطا من هنا! أنتما مهرجان! " **الإثنان يهبطان من فوق الحصان الخشبى** " والآن أطلبا الصفح عن كل البذاءات التى بدرت منكما!

كيشـــــــوت : أنا أطلب الصفح؟

الـــــــــــدوق : نعم يا سيد فارس بغير فروسية ولا أسد ولا معجزة ولا أى شئ ولا حتى مارماتون من حاشيتى!

كيشـــــــوت : أنا مارماتون!" **بمنتهى الهدوء** " يا دوق بغير ذقن.. يا.. أقسم على أن أقتلك هنا وفى الحال!

الـــــــــــدوق : استدعوا الحاشية! استدعوا الحرب! اقذفوا به

إلى الخارج..." **دون كيشوت يصوب رمحه** "

كيشوت : إلى الخارج يا هلفوت! فليقترب منى أحدكم.. أما عن فروسيتى فلن أسمح لنفسى مناقشة كلامك الساذج منها وشكك فيها لأنها لا تحتمل الشك والتشكيك.. أنا فارس بالرغم منك ومن أبيك.. فارس حتى أعماقى، بالحرية التى تدفعنى بالعدالة التى تقودنى، بالشجاعة التى تحمينى.." **الدوق يحاول أن يتحرك فيصوب دون كيشوت رمحه نحوه** " لا تتحرك ولا حركة.. إذا كنت قد سمعت ما قلناه عنك أنا وتابعى فالمؤكد أنك سمعت أيضاً رغبتى فى أن أقول فى وجهك نفس الكلام وهأنذا أقول لك من جديد.." **الآخرون يحاولون الحركة فيصوب كيشوت رمحه نحوهم جميعاً** " وتنبهوا جيداً إلى أنكم لم تسمعوا كل شئ بعد! يا سفلة يا غجر يا حوش يا لمامة.. الوقت الذى تضيعونه فى ضحككم الأجوف يتألم فيه غيركم من المرض والبؤس والفكر والحرب والكفاح.. يا.. وتريدون الآن أن أطلب منكم الصفح عن جرائم أنتم الذين ترتكبونها ؟

الصدوق : جرائم؟ لقد زاد عن الحد، تطاول تماماً، لا تتركوه! " **يدخل الحرس بالعصا**"

كيشوت : " **يصوب رمحه** " لم أنته بعد! أم أنكم لا تحسون بأن الخداع جريمة! وأنه يمكن أن يدمر أجمل ما في الإنسان؟ السعادة التي حققتموها على حسابي سأعرف كيف أنتزعها منكم مرة أخرى! لن تعرفوا بعد ذلك إن كنتم خدعتموني أم لا! ولن تتمكنوا من معرفة ما إذا كنتم خدعتموني أم أنا الذي خدعكم! ماذا قلتم؟ وإذا كنتم لم تحسوا بأني قد صعدت إلى السماء فعلاً فلأنكم قاصرون وعقولكم الصغيرة لا يمكنها أن تتصور ذلك.. وإذا كان الجواد الخشب لم يصعد بي إلى أعلى إلى الساحر فمعنى هذا أن الساحر بينكم وليس في أعلى! لا أعرف من هو، لكن طالما يسمعني فهو يعلم أني سأكتشفه ذات يوم مهما تلون ومهما تخفى! نعم، الخداع فتاك! وبما أني مازلت أحيا فأنتم إذن لم تخدعوني.. تعال يا سانشو تعال يا صديقي، يا صديقي الوحيد.."

دون كيشوت وسانشو ينصرفان "

الدوقـــــــة : " **تصيح** " خرج قبل أن تتصيده!.. آه!" **ترتمى مغمى عليها بين ذراعى الدوق** "..

الـــــــدوق : شئ من الملح! بسرعة! شئ من الملح!

إظلام

" **إضاءة على مجموعة من الرجال بينهم اثنان من الحمارين وهم يحيطون باثنين من الحرس الملكى**".

حمـــــــار : أقول لكم أنه مر من هذه القرية.. إسألوا هؤلاء الناس.

رجـــــــل : نعم، صحيح! لقد رأيناه!

جنـــــــدى : مع تابعه؟

الرجـــــــل : المربع كما البرميل والثانـى الطويل كما البوصة

الجنـــــــدى : ولماذا لم تمسكوا بهما؟

الرجـــــــل : لم نكن نعلم أنهما يساويان ألف جنيه من الذهب

آخـــــــر : مثل كل شئ.. أى أخبار تعلن فى كل مكان إلا فى بلدنا هذا!

جنـــــــدى : اذهبوا إلى الملك قولوا له.. هو هنا من أجل ذلك!" **لزميله** " ربما لم يبتعدا عن هنا بعد، هيا نعد لهما كمينا!

إظلام

" نصف ظل على دون كـيـشـوت وسـانشـو. كيشوت واقف رمحه فى يده مستنداً على خصر جواده، يبدو مرهقاً، بينما سانشـو يستند بنفس الطريقة على خصر حماره".

سانشـــــو : خسارة فادحة ألا نكون قد صعدنا إلى السماء!

كيشـــوت : لكنّا صعدنا يا سانشو!

سانشـــــو : أريد أن أقول فى الواقع!

كيشـــوت : هذا ما أقصده.. فى الواقع.. وأمنعك أن تفكر فى عكس ذلك أو تقوله.

سانشـــــو : طيب! تقول أننا عدنا، وهذا مالا أستطيع إنكاره!

كيشـــوت : العقلاء لا ينكرون أبداً المسائل الواضحة!

سانشـــــو : ليكن! وأقول أيضاً خسارة أننا لم نبق فى السماء لأنه يخيل إلىّ أن الأرض صغيرة علينا للغاية..

كيشـــوت : عندك حق يا سانشـــو، وأنا أيضاً أقول هذا! لكن لم أفكر فى الوقت نفسه أن أحصر شجاعتى فى الأرض وحدها.. ذات يوم سوف تستقبلنى النجوم أفضل مما استقبلتنى هذه المرة.. الأرض يا سانشـــو ما هى إلا الباب الضيق الذى نعبر منه.." **موسيقى حزينة تتناهى**

من بعـيـد. مـوكب يدخل ببطء إلى المسرح يتكون من رهبـان يرتدون كـاكـولات سـوداء. أربعـة منهم يحملون نعشاً ملفوفاً فى ملاءة سـوداء. الآخرون يرتلون وأفواههم مغلقة نوعاً من الترانيم اللاتينية. الموكب يعبـر المسرح ثم يخرج فتظهر مـربيـة أغنى الأغنيـاء فى مـلابس الحـداد. دون كـيـشـوت وسانشـو يركعان، فتتوقف المربيـة أمام دون كيشوت".

الـداداا : تستطيع أن تبكى أيها المتوحش! لا يوجد شئ يمكن أن يغلق أبواب الجحيم أمـامك ! " **كـيـشـوت مندهشـاً يرفع رأسـه وينظر إلى المربيـة** " تريد أن تقول أنك لا تعرفنى؟!

كيشـوت : إن لم أقل ذلك فانى كاذب!

الـداداا : أنظر إلىَّ يا إبليس! أنا مربية أغنى الأغنياء!

كيشـوت : نعم، نعم! تذكرت الآن! لكن ماذا تريدين منى؟

الـداداا : معجزة! يا فـارس المعجزة! وبسرعـة! لأن أغنى الأغنيـاء سيـدفن بعد لحظة واحدة !" **كيشـوت وسانشـو يقفان فجأة**

كيشـوت : ما هذا الذى تقولينه؟

الـــــــدادا : مات سيدى!

كيشـــــــوت : مات! لا يمكن! وكيف مات؟

الـــــــدادا : وماذا يهم.. يكفى أن تعرف أنه مات! والباقى للشيطان الذى عليه أن يأخذك أنت أيضاً! " **تخرج. يظل دون كيشــوت مبهوتاً** "

كيشـــــــوت : سانشـــــــو! ماذا سمعت؟

سانشـــــــو : ما سمعته أنت!

كيشـــــــوت : هل هى تقصد الرجل إياه!

سانشـــــــو : أنا خائف من أجله!

كيشـــــــوت : لماذا؟ ماذا حدث له!

سانشـــــــو : ما سمعته!

كيشـــــــوت : لم أسمع شيئاً!

سانشـــــــو : ولا أنا أيضاً!

كيشـــــــوت : ماذا إذن؟ كفاك رعباً! مما تخاف إذن؟ إذا كان قد مات فماذا أفعل أنا؟ هل أنا موجود لأمنع المـــوت عمن يريدونه؟" **فترة صمت** ".

سانشـــــــو : ربما لم يكن يرغب فى المـــوت!" **فترة صمت** "

كيشـــــــوت : وربما مات من الحب!

سانشـــــــو : ويمكن أن يموت الإنسان من أشياء كثيرة أخرى!

كيشـــــوت : مات من الحب! يكفى أن تتذكر جمال كاترينا حتى ندرك أنه مـات من الحب! وأنا.. أنا يا سـانشـو السبب

سانشـــــو : ولماذا لا تقول أنه مات من الغضب أو الضيق؟!

كيشـــــوت : من الغضب، من الضيق، من الحب.. المهم أنى السبب وهذا ليس عدلاً! " **فترة صمت** "

كيشـــــوت : " **وهو يفكر** " أين العدل؟ اليوم كـان المـوت أمامى، ولو كنت مددت رمحى قليلاً فى مواجهته لقضيت عليه. لكنى تركت المـوت يمر! المـوت لعب بى يا سانشـو!

سانشـــــو : هيا بنا إذن!

كيشـــــوت : " **دون أن يسمع** " آه! أيها المـوت! سأواجهك من جديد! تعال! تعال!

سانشـــــو : لا، يا سيدى، لا، هذه الأشياء لا تقال!

كيشـــــوت : المـوت! المـوت! ستجىء أم لا أيها الجبان أناديك وألعنك." **شعـاع ضوء على العمق، وفى الوسط حزمة الشعـاع. يظهر المـوت والمـارد والمهرج والمـــلاك أو الممثلون الذين ظهروا من قبل وهم يضحكون، يمسكون بأيديهم رايات**

أو جزوع نباتات فى أطرافها قطع من ملاءات سوداء كما لو كانت بيارق ترفرف وهكذا يكونون تشكيلاً يشبه طواحين الهواء".

كيشوت : آه آه! أخيراً قررت! أضحك ضحكات أخرى أيها الموت القادر الغادر الفاجر! استعد فبعد لحظة لن يكون هناك صدى ضحكة أخرى! سترى الآن يا سانشو أكبر معركة لم يحدث مثلها ولا حتى ضد قوى الليل.. أنا النهار يا سانشو! أنا النهار!

سانشو : ماذا ستفعل يا سيدى؟

كيشوت : ماذا؟ سترى! الموت هنا!

سانشو : أين؟ أنا لا أرى شيئاً!

كيشوت : أمامنا! الموت ومن معه!

سانشو : هيه! يا سيدى! لا أرى أكثر من طواحين الهواء!

كيشوت : ها! ها! طواحين هواء! هيه! أيها الموت! أتسمع الوصف الذى يصفك به تابعى؟ طواحين هواء! إحذر! وأعلم جيداً أن فارس الفرسان هو الذى ينازلك!" **يتقدم إلى الأمام".**

سانشو : " **صائحاً**" سيدى! سيدى! أقسم لك أنها طواحين هواء! طواحين هواء أقول لك! طواحين هواء!"

عندمـا يقـتـرب دون كـيـشـوتِ من المـوت ومجموعته، جناح كبير من طواحين الهواء ينزل من القـوس محدثاً جلبه كبيـرة ومفزعة.. مـوسيقى إلكترونيـة.. الجناح يخفى دون كيشوت والمجموعة عن المشاهدين.. أعلى من الضجيج المفزع، يسمع دون كيشوت الذى يطلق صرخة مروعة".

سانشـــو : " **يصيح** " طواحين هواء.. طواحين هواء.. طواحين هواء

إظلام كامل

" وسط شـعـاع الضـوء يظهـر درع كـيـشـوت منتصباً ولكنه فارغ. وفجأة تسمع فرقعة رهيبة وتكسير حديد خردة، فيظهر الدرع وهو يتقوض على نفسه".

إظلام

" إضـاءة وسط المسرح. على سرير سـفـرى، دون كـيـشـوت نائم وقـد مـد قـامـتـه تماماً، يرتدى قـمـيـصاً " وصديرى ".. الكتب التى كـانت قـد ظهرت فى البداية تتدلى ببطء فى علب بأطراف الخيط.. حول السرير، الحـلاق والفتاة والمربيـة

والقس. الأربعة منكبون على دون كيشوت"

القس : هيا يا سنيور، جاء الوقت الذى تعترف فيه بخطاياك.

الفتاة : خطاياك! أتسمع يا خالى؟ خطاياك.

المربية : شئ من العقل الآن يا سيدى.. ألم يكن من الأفضل البقاء فى البيت؟

الحلاق : أنظر كيف نحبك!

القس : يا بنى بغير حكمة لا توجد فضيلة.

الفتاة : اعترف أنك نلت عقوبة جنونك.!

المربية : أطلب المغفرة من الرب لأنك أهنت العقل والحكمة!

الحلاق : ولأنك منعت نفسك من الرؤية الواضحة!

القس : يجب أن تنظم ضميرك!

الفتاة : وتنظم عملك وتصرفاتك!

المربية : الدرس قاس لكن لابد وأن تستفيد منه!

الحلاق : هل ترغب فى استدعاء الكاتب من أجل الوصية!" **فترة صمت"**

كيشوت : نعم!

الفتاة : رعانا الله! ها هو قادم من بعيد!" **الفتاة تخرج**

مسرعة تصحب الكاتب الذى كان ينتظر بالخارج"

الفتـــــاة : ليس عليك إلا أن تتكلم يا خالى!

الكاتـــب : نعم.. تكلم يا سيدى.. وأنا أكتب!

كـيشـــوت : أوصى بكل ممتلكاتى، أثاث، وعمارات لابنة أختى الموجودة هنا..

الفتـــــاة : أوه! خالى! لم يحدث أن صحبت الدموع إرثاً من هذا النوع..

كيشـــوت : " **يستمر** " بشرط أن تعطى ابنة أختى ربع القيمة نقداً لمربيتى.

المربيـــة : سيدى! اطلب من السماء أن تجعلك تحيا ألف عام قبل أن أحصل على هذا الإرث..

كيشـــوت : " **يستمر** " وبشرط أن تعطى ابنة أختى فدانين من أراضى القمح لحلاقى.

الحـــلاق : سيدى! خبز القمح هذا سيكون أعز أكل أكله إنسان فى حياته.

كيشـــوت : " **يستمر** " وبشرط أن تعطى كل كتبى للقس يفعل بها ما يشاء.

الحـــلاق : " **للقس** " لو ابتعتهم بالكيلو ستحصل على ألفى

جنيه على الأقل.

الكاتـــــب : سيدى لم يبق غـير أن توقـع هنا.." **يقدم الوصيـة ويسلمها إلى دون كيشـــــوت الذى يوقع. ثم يأخذ الكاتب الوصية وينظر إليها"..**

الكاتـــــب : لكن يا سيدى هذا لا يمكن أن..

الفتــــاة : ماذا حدث؟

الكاتـــــب : السنيور، أليس اسمه كيكسادا؟

الفتــــاة : نعم.

الكاتـــــب : إذن لماذا وقع باسم دون كيشـوت؟

الفتــــاة : هيـه؛ خالى؛ لقد أخطأت، يجب أن توقع توقـيعـاً صحيحاً.

المربيـــــة : أنت تعلم جيداً أن اسمك ليس دون كيشـوت.

الحـــــلاق : بتوقيع شبح لا يمكننا أن نرث أى شئ؛

الكاتـــــب : الوصية كما هى الآن لا تساوى شيئاً؛

الفتــــاة : هل تسمع ما يقولونه يا خالى؟

القـــــس : هيه، سنيور كيكسـادا.. لا يمكنك أن تصـعـد إلى السمـاء إلا باسمك الحقيقى؛ وإذا أخطأت فيـه هنا على الأرض، فـإن الملائكة سـتـخطئ فـيـك ولن تتـعـرف عليك.. فـالأفـضل أن توقع توقـيـعـاً

صحيحاً!" **فترة صمت** ".

المربيـــــة : سيدى لا داعى لهذه الألاعيب!

الحـــــلاق : وأنت تعلم جيداً أنك لست دون كيشوت.

الفتـــــاة : وأن اسمك الحقيقى هو كيكسادا!

القـــــس : ستستمر على جنونك هذا معتقداً أنك فارس بينما لست أكثر من كيكسادا، إعترف !

الفتـــــاة : إعترف يا خالى، إعترف!

الحـــــلاق : عموماً لدينا ما يؤكد اسمك.

القـــــس : إعـتـرف بخطئك وإلا أصبـحت كـل الإعـتـرافـات بخطاياك خداعاً

الحـــــلاق : قل إنك لم تعد فارساً.

المربيـــــة : لا نطالبك بأكثر من التوقيع باسم كيكسادا.

الحـــــلاق : لاحظ أيضاً أن الوصية بهذا الشكل تصبح عدماً!

القـــــس : كما أن حياتك كلها عدم.

الفتـــــاة : كأنك لم تحى أبداً.

المربيـــــة : إعترف إنك كيكسادا، هذا أفضل.

الفتـــــاة : أو اعترف بأنك لست دون كيشـوت.

القـــــس : مـاذا تـفـضل، تعـتـرف بـكيكسـادا أم تتنكر لدون كيشــوت!

الفتـــــاة : هذا أو ذاك، المهم أن تعترف.

المربيـــــة : اعترف!

الحـــــلاق : إعتراف!

القـــــس : إعتراف!

الجميـــــع : إعتراف، إعتراف، إعتراف! **" فى وسط المسرح يدخل سانشو فجأة. الجميع يتوجهون ناحية سانشو مهرولين".**

سانشـــــو : سيدى! سيدى!

المربيـــــة : أخرج من هنا، أيها الشرير.

سانشـــــو : أريد أن أرى سيدى..

الحـــــلاق : أخرج من هنا، رائحتك تزعج سيدنا!

سانشـــــو : أفضل أن يطردنى هو نفسه.

الفتـــــاة : اخرج كفى ما حدث له بسببك!

سانشـــــو : أنا؟ لماذا؟ كنت طاحونة هواء أم ماذا!

القـــــس : يجب أن تخرج يا سيدى سانشو، لم يعد لك وجود هنا!

سانشـــــو : مستحيل، لم يكن فى حاجة إلى.

القـــــس : لا تستطيع أن تقدر يا سيد سانشو أنه لو رآك الآن سيجن جنونه مرة أخرى.

كيشوت : " **صائحاً وهو فى فراشه** " دعوا صديقى الوحيد يقترب منى!

الفتاة : " **للحلاق والقس** " لا تستجيبوا له، اطردوه وإلا ضاع كل شئ!

الحلاق : أخرج من هنا قبل أن أكسر ضلوعك!

القس : كن عاقلاً يا سيد سانشو، مكانك ليس وسط هذه العائلة.. من الأفضل أن تعود إلى بيتك.

كيشوت : " **صائحاً من بعيد** " سانشو يساوى الاسم الذى تريدونه! " **الجميع ينظرون ناحية دون كيشوت ثم يبتعدون عن سانشو الذى يهرول ناحية دون كيشوت ويخور على رأس السرير** ".

سانشو : سيدى! سيدى!" **الحلاق والفتاة والمربية و القس يراقبون المشهد من بعيد وفى صمت** ".

الفتاة : أين وعدك إذن يا خالى؟ " **فترة صمت** "

كيشوت : أنا.. لا.. شئ.. دون.. دونكى.. دون كيشوت.. أنا.. لست.. فارساً.. أنا.. لم.. أفعل.. أبداً.. كل.. ما.. فعلته.. كل شئ.. وهم.. أنا.. لم.. أوجد.. فى حياتى!" **يتناول الوصية والقلم من يدى الكاتب ويوقع**".كيكسادا! "**ينفجر ضاحكاً**"

سانشـــو : "**مفاجأ** " ما معنى هذا يا سيدى؟

كيشــوت : "**صائحاً**" إنى أستسلم، يا سانشــو، استسلم

سانشـــو : فسر لى أرجوك..

كـيـشـوت : يبـدو أن مكافـأة الحكمـة هى أن يمـوت الإنسـان مستريحاً.. ولهذا ينبغى عليك أن تعود إلى عقلك.

سانشـــو : هيه! أنت تتكلم عن الموت هنا؟

كيشــوت : كسبت العقل يا سانشــو وسأموت به..

سانشـــو : " **صائحاً** " ليس من حقك، لا يمكن.. أتسمعنى؟ ليس من حقك! وإلا أصبح سهلاً على كل إنسان.. أن يعد بجـزيرة.. وأن يسـخـر له سانشــو آخر.. وأن يقـيم صداقة ثم يموت! ليس من حقك! إنى أمنعك؟ هيه! قاوم نفسك يا سيدى، إنتصر على نفسك! إذا كان الموت يأتيك، اهزم نفسك!!

كيشـــــوت : مازلت تقول أنها طواحين هواء؟!

سانشـــــو : لا! كنت على حق، لقد كان المــوت!

كيشـــــوت : نعم، كان المـوت! ومادام قد هزمنى.. فقد قضى الأمر! هذا قانون الفروسية!

سانشـــــو: كيف تقول هذا ولم يبدأ شئ بعد؟ أنظر إلى من ينتظرونك يا سيـدى.. كل الجائعين خبـزاً.. كل الجائعين دفـئـاً.. كل الجـائعين حبـاً.. كل الذين

تختفى عنهم الشمس.. كل الذين يبتاعون الهواء ليتنفسوا به.. كل المخدوعين، كل المسخرين، كل المحرومين من لقب إنسان!.. ألا تراهم؟! ألا تسمع نداءاتهم؟ يجب أن تذهب إليـــهم، من ذا الذى سينقذ العالم إذا تخلى عنه دون كيشـوت؟ العدالة فى حاجة إلى منقذ! الحرية فى حاجة إلى ملهم! السلام فى حاجة إلى رسول، كل إنسان ينبغى أن يحصل على حقوقه، على فرصته! يحصل على حياته! أمامك انتصارات كثيرة فى إنتظارك يا سيدى يجب أن تذهب، يجب أن تذهب!

كيشـــوت : " **فى أذنى سانشـو** " من قال لك أنى لا أفكر؟ تعتقد أنك تنبهنى إلى ما ينبغى علىّ عمله؟ هش! دعنى أتصرف يا سانشـــو!" **يعنى الموجودين** " يجب أن أدعهم يتصورون أنى سأخضع لرأيهم.. أنا أحاذر من يقظتهم فقط.. أتفهم؟

سانشـــــــو : نعم، نعم، أفهم..

كيشـــــــوت: إنى أموت بإستراتيجية، بتكنيك! حتى لا يمكنهم أن يحتجزونى أكثر من هذا.. وعليك أن تنتظرنى إلى جوار الجواد.. أمامى لحظة واحدة.. هيا اذهب..

سانشـــــــو : أثق فيك يا سيدى! أثق فيك! سأنتظرك! إطمئن! سأنتظرك كما تريد!" **يخرج ببطء** "

الفتـــــــاة : هل لاحظت الكآبة التى أصابت هذا الرجل؟

المربيـــــــة : معنى هذا أن سيدنا أنكره..

الحـــــــلاق : وهذا خير دليل على أنه يموت عاقلاً!

القـــــــس : عاقل لكن ميت! " **يتجهون ببطء ناحية دون كيشـــــوت.. بروجكتور يضئ فجأة وجه دولسينا الذى يبدو رائع الجمال"**

دولسينـــــــا : إيه يا فارس الفرسان! هل ضعت تماماً، انتهيت. شردت، فقدت؟ ضاع منك خيط التيه؟ أنا فى إنتظارك يا فارسى.. كدت أنسى أنك لابد أن تهزم الآخرين؟ ستترك دولسينا المسكينة تنطفئ إلى الأبد؟ ألا تريد أن تعرف المجهول.. هناك بعيداً فى الأبدية؟ يجب أن تسير يا فارسى.. الشجاعة لا نهاية لها.. أنا فى نهاية اللا نهاية.. تعال يا فارسى، تعال لا تيأس أبداً من الوصول إلىّ والعثور علىّ.. أمامك الخلود كله.. تعال! " **دون كيشوت يعتدل ويصيح** ".

كيشـــــــوت : أنا قادم!

" إظلام على دولسينا. الحلاق والفتاة والمربية والقس يتصلبون بلا حراك. دون كيشوت يرتمى مرة أخرى على السرير.. يدخل جنديان من حرس الملك".

الأول : هيه!! جئنا نبحث عن الفارس دون كيشوت دولامانشا!

القس : تأخرنا فى المجئ! السينور دون كيشوت رحل!

إظلام

" إضاءة على البراتيكابل الأعلى. على شعاع البروجيكتور الجواد عليه كتاب ضخم ورمح.. وبجانبه سانشو فوق حماره"

الكتاب :" **بصوت دون كيشوت** " هيا يا سانشو! إلى الأمام يا صديقى الوحيد!.. الكلمة الأخيرة لا يمكن أن تكون للشيطان!

ستار

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٠٩٤٢

طبع بمطابع

روزاليوسف